التَّعْلِيقَاتُ العِلْمِيَّةُ عَلَى مَثْنِ عَلَى مَثْنِ عَلَى مَثْنِ العُظِيمَة الأُصُولِ السِّتَّةِ العَظِيمَة

شرح وتعليق عبد المحمن الجنيد

بِهِي مِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَزِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله العلي العظيم، وأشهد أنْ لا إله إلا الله الحميد الحليم، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث للعالمين بالخير العَميم، وعلى جميع النَّبيين الصلاة ثم التسليم، والمؤمنين مِن أتباعهم.

و بعد:

فهذه تعليقات أرجو أنْ تكون نافعة ماتعة مُفيدة على رسالة:

«الأُصول السِّتَّة»، للإمام الفقيه المُجدِّد محد بن عبد الوهاب التميمي النَّجدي _ رحمه الله _.

وقد حرصت في هذه التعليقات على أمور عديدة، مِنها:

أُوَّلا: توضيح عبارات هذا المَتن بقدر استطاعتي، وبلُغة سهلة واضحة.

ثانيًا: التمثيل لِمَا ذكره المُصنِّف _ رحمه الله _ لِيزداد وضوح مُراده، ويظهر عُمق فهمه، ودقيق استنباطه، وقوي استدلاله.

ثاثًا: تبيين مقاصد المُصنِّف _ رحمه الله _ مِن عامَّة أو غالب كلامه واستدلالاته، وبقدر استطاعتي.

لأنَّ رسالته هذه مع صِغر حَجمها غزيرة الفوائد، عميقة المعانى، قوية الاستدلال، مُطابقة للواقع.

وهذه التعليقات قد أخذتها مِن شرح لِي على هذه الرّسالة قبل أكثر مِن عشرين سننة.

ثمَّ أقول مُستعينًا بالله _ جلَّ وعلا _ القوي القدير:

قال الإمام محد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _:

[مِن أعجَب العُجاب (١)، وأكبر الآيات الدَّالة على قُدرَة المَلك الغلَّاب (٢):

ستة أصول (٣) بيَّنها الله تعالى (٤) بيانًا واضحًا للعوام، فوق ما يَظن الظانون، ثم بعد هذا غلِط فيها كثير مِن أذكياء العالم، وعُقلاء بنِي آدمَ (٥)، إلا أقل القليل. (٦)

(١) أي مِن أكثر وأوضح ما ينبغي أنْ يتعجَّب مِنه صاحب التوحيد والسُّنة السائر على طريقة السَّلف الصالح:

انحراف الناس في زمان المُصنِّف _ رحمه الله _ وقبلَه وبعدَه في هذه الأصول السِّتة الكُبرى في دِين الله الإسلام.

والتَّعجُّب هو: «الاستغراب».

والمُراد مِنه هُنا: الإنكار لِحصول هذا الشيء المُتعجَّب مِنه في أكثر الناس، والذَّم له، ولِمَن فعَله.

والبَدع بالتَّعجُّب يُفيد القارئ: الإقبال على ما سيأتي بعده، وزيادة النظر فيه، والتأمل له.

ووجه التعجُّب:

أنَّه مع وضوح هذه الأصول السِّتَّة في نصوص القرآن والسُّنة النَّبوية الثّابتة، وكثرة الأدلة الشرعية عليها، وكبير وضوح معانيها انحرَف فيها أكثر الناس عن الحق وضلوا، ولم يَهتدوا إلى الصواب.

حيث ضلوا وانحرفوا فيها مِن جهة العلم والفَهم، ومِن جهة العمل والانقياد، ومِن جهة العمل والانقياد، ومِن جهة المُتابعة للنبي على وأصحابه.

وحتى الكثير مِن الأذكياء والعُقلاء لم يَسلموا مِن ذلك، وغلِطوا فيها، بل وكانوا مِن دُعاة نقيضها، وأسباب انتشار الضَّلال فيها، وزيادته في الناس، وامتداده عبْر العصور.

وتعجُّب المُصنِّف _ رحمه الله _ هُنا في محلِّه:

لأنّه إذا كانت هذه الأصول السِّتة بهذا الوضوح، وبهذه الكثرة في الأدلة، في الأدلة، في أنْ يُقابِل ذلك عدم الغلّط فيها، أو قِلَّته جدًّا ونُدرته، وحصول الاستقامة فيها مِن عُموم الناس وفق ما جاء في نصوص الشريعة، وليس عكسه وخلافه.

(٢) وجْه دَلالة هذه الأصول السِتَّة على عظيم قُدرة الله المَلِك الغالب والقاهر لِغيره الذي لا يُعجِزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأمور العِباد بيده وحدَه، وهدايتهم وضلالهم بمشيئته:

أوَّلًا _ أنَّه قد وقع انحرَاف وضلال وغلَط أكثر الناس فيها كما ذكر الله سبحانه في كتابه، وذكر رسوله على سنتَه.

ومِن الأدلة الشرعية على ذلك:

١ - قول الله - عزَّ وجلَّ -: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ }.

٢ - وقول الله - جلَّ وعلا -: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ
 جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }.

٣ - وقول الله سبحانه: { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ }.

عُ _ وقول الله تعالى: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ عَالَى: } وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ }.

• _ وقول الله _ تبارَك وتقدَّس _: { وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيّنَ لَهُمْ مَا يَتَقُونَ }.

آ - وقول النبي ﷺ الصَّحيح: ((اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَرُّ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأً: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسننَى فَسَنُيسِرُهُ لِلْعُسْرَى وَاللَّيُسِرُهُ لِلْعُسْرَى })).
 لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيسِرُهُ لِلْعُسْرَى })).

٧- وقول النبي ﷺ الصَّحيح: ((﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: ﴿هُمُ الْجَمَاعَةُ»)).

٨ - وقول النبي على الصّحيح: ((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِسْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسنيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنْتِي وَسنُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَستَكُوا بِهَا، وَعَضُوا عَلَيْهُمْ بِسنُنَّتِي وَسنُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَستَكُوا بِهَا، وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةً، وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةً، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةً)).

٩ - وقول النبي ﷺ الصّحيح: ((«لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبَّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اللهِ، اللهَ اللهُ وَذَرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبَّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اله

ثانيًا - أنَّ الغلَبة في الدُّنيا قد حصلت لِمَن تمسنَّك بهذه الأصول، غلَبة العلم والحُجَّة والبيان والاستدلال، وغلَبة السنَّيف والسنُّلطان والتمكين في الأرض والاستخلاف.

ومِن الأدلة الشرعية على ذلك:

 ٢ - وقول الله - جلَّ وعلا -: { وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيرٌ اللهِ اللهِ عَنِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ }.

٣ - وقول الله تعالى: { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ
 الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }.

عَ وقول الله _ عزَّ وجلَّ _: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الْدُنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }.

• - وقول الله - تبارَك و تقدَّس -: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ }.

آ - وقول النبي ﷺ الصّحيح: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُ هُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ)).

٧ - وقول النبي ﷺ الثابت: ((وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي)).

٨ - وقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الصّحيح: ((إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَرَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَرَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ
)).

(٣) الأصل هو: «الأساس الذي يُبنَى عليه غيره».

وهذه السِّتَّة أصول أساس في أبواب كُبرى ومُتعدِّدة مِن الدِّين، وُمُهمَّة جدًّا لِصلاح الدِّين والدُّنيا، والعِباد والبلاد.

ومِن هذه الأبواب:

باب الاعتقاد، وباب اجتماع الأُمَّة، وباب الرَّعية مع الولاة، وباب العلم والفقه وأهلهما، وباب الأولياء والولاية والعبادة، وباب العمل بالقرآن والسُّنة والاتِّباع.

وذِكر المُصنِّف _ رحمه الله _ في بداية هذه الرسالة عدد هذه الأصول، وأنَّها سِتَّة:

جاء مِن باب الترغيب والتشويق لطالب العلم، وتنشيطه لِيُقبل عليها بالقراءة والحفظ والفَهم والضَّبط والاستماع.

وهذا الأسلوب في باب التعليم مشهور وكثير في الأحاديث النَّبوية الصَّحيحة، وجاءت أحاديثه بأعداد كثيرة.

(٤) قول المُصنِّف - رحمه الله -: [بيَّنها الله تعالى].

فيه دَلالة وتأكيد على أنَّه لم يأت بهذه الأصول ومعانيها مِن عند نفسه، وإنَّما أخذها وقرَّرها واستنبطها مِن نصوص الشريعة.

بل إنَّ الشريعة قد جاءت بالنَّص عليها، وعلى حصول الانحراف فيها وفي غير ها مِن الأصول، وإلى كثرته في الناس.

(٥) هذا رابط جامع بين هذه الأصول السِتة جميعها.

وهو يَتلخَّص في أمرين:

الأمر الأوَّل:

وضوح هذه الأصول السِّتة في آيات القرآن، ونُصوص السُّنة النَّبوية، وضوحًا ظاهرًا جلِيًّا، وكثيرًا، ومُتنوِّعًا، ولِعُموم الناس، حتى مَن كان مِنهم عامِّيًا، وليس مِن أهل العلم والفقه وطلابه.

وهذا يَدُل على أنَّ معرفتها وفهمَها لا يحتاج إلى مزيد علم وتفقُّه.

وقول المُصنِّف _ رحمه الله _: [لِلعوام].

أراد بِه تأكيد شدَّة وضوح هذه الأصول، وأنَّه إذا كانت بهذه المَثابة مِن الوضوح لِعوام الناس، فكيف بمَن فوقهم مِن العلماء وطلاب العلم.

لا رَيب أنَّ الوضوح يَنبغي أنْ يكون في حقِّهم أكبر وأظهر وأبيَن، وعليهم أسهل، لأنَّ أدوات الفَهم والعلم موجودة عندهم.

وقول المُصنِّف _ رحمه الله _: [فوق ما يَظن الظانون].

أراد بِه تأكيد أنَّ الشريعة الإسلامية لا يُمكن أنْ تُغفِل تبيين الأصول الكبرى في الإسلام.

بل سيكون التقرير لَهَا والتبيين قد جمع بين الكثرة، وبين الوضوح لِعموم الناس، عاميِّهم ومُتعلِّمهم وعالِمهم.

الأمر الثاني:

أنّه مع الوضوح الشديد لِهذه الأصول السِّتة في نصوص الشريعة فقد انحرَف وضل و غلِط فيها الكثير مِمَّن يَنتسِب إلى العلم مِن أهل البدع والأهواء، ووُصِف بالمعرفة والفقه والبَصيرة، ومُدِح بالتَّضلُّع في علم اللغة والأصول والكلام، وأشير إليه بقوة الذَّكاء، وأنَّه مِن عقلاء وأفهَم الخلق.

وذِكر المُصنِّف _ رحمه الله _ لانحرَاف وغلَط الناس في هذه الأصول السِّتة إلا أقل القليل، وغلطِ كثير مِن أذكياء العالم، وعُقلاء بني آدم له فوائد عديدة.

ومِن هذا الفوائد:

أُوَّلًا - تنبيه قارئ وسامع هذه الأصول السِّتَّة، والمُتفقِّه فيها إلى أنَّ هدايتَه إليها، وفِقهَه لَهَا جيدًا، وعملَه واستمساكه بها، إنَّما حصل له بفضل الله، ومِنَّته عليه، ورحمته بِه، فلا يَغتَر.

كما قال الله سبحانه عن نبيّه الكريم يوسف _ عليه السلام _ أنّه قال السَّجِينين معه شاكرًا ربَّه على نِعمة اجتناب الشِّرك بالله: { إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْأَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْدَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ }.

وصحَّ أنَّ النبي ﷺ وأصحابه _ رضي الله عنهم _ كانوا يَرتجِزونَ في غزوة الأحزب، وهُم يَحفرون الخندق، وأهل الكفر والشِّرك يُحاصرونهم، فيقولون شاكرين لله: ((اللهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْثًا، وَلَا تَصَدَّقْنَا، وَلَا صَلَّيْنًا)).

ثانيًا _ تر هيب قارئ وسامع هذه الأصول السِّتَّة مِن أَنْ يَتَّكِل على نفسه في معرفة الحق والعمل بِه، إذ النفس ضعيفة وأمَّارة، والشُّبَه كثيرة وخطَّافة، وقد غلِط فيها، وانحرَف عنها، مَن هو أقوى مِنه علمًا، وأكثر ذكاء، وأوسع عقلًا، وأكبر صِيتًا.

وعليه أنْ يُصاحِب ذلك دَومًا بسؤال الله زيادة العلم، والتوفيق للعمل بالعلم، وثبات القلب عليه حتى يَلقَى الله.

وقد ثبت مِن طُرِق: ((كَانَ النَّبِيُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ _ عَزَّ وَجَلَّ _ يُقَلِّبُهَا»)).

ثالثًا _ تنبيه قارئ وسامع هذه الأصول السِتَّة، والمُتفقِّه في عموم العلم الشرعي إلى أنَّ ميزان معرفة الحق وحصول الصواب في المسائل الشرعية ليس هو الكثرة، أي: كثرة القائلين بِه والعاملين، وإنَّما آيات القرآن وأحاديث النبي على الثابتة، وباقي الأدلة الشرعية.

وخلاصة ذلك: أنَّ معرفة الحق مدارها على الدليل الشرعي، والهداية إلى الحق مدارها على توفيق الله للعبد.

(٦) مِن أدلة هداية أقل الناس إلى الحق وابتعاد أكثرهم عنه في نصوص القرآن والسنُّنة النَّبوية:

١ _ قول الله سبحانه: { وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }.

- ٢ _ وقول الله _ عزَّ وجل _: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }.
 - ٣ وقول الله تعالى: { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِ هِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }.
 - عُ _ وقول الله _ جل وعلا _: { فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }.
- - وقول الله تبارَك و تقدس عن إبليس: { ثُمَّ لَآتِيَنَّ هُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ جَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَاثِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }.
- تبارَك اسمُه -: { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ
 .
 - ٧ وقول الله سبحانه: { قُلْ سبيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ النَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ }.
 - ٨ وقول الله تعالى: { وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ }.
 - ٩ وقول الله عزَّ شأنه -: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَصْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ }.
- ١٠ وقول النبي ﷺ الصَّحيح: ((لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً،
 فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ)).
 - 11 وقول النبي عَلَى الصَّحيح: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)).

١٢ - وقول النبي ﷺ الصّحيح: ((بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ عَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)).

١٣ - وقول النبي ﷺ الصَّحيح: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدُ)).

ثمَّ قال الإمام حجد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _:

[الأصل الأوَّل: (١)

إخلاص الدّين لله تعالى وحدَه لا شريك له (٢)، وبيان ضدِّه الذي هو الشِّرك بالله (٣)، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل مِن وجوه شتَّى بكلام يَفهمه أبلَد العامة (٤).

ثم لمَّا صار على أكثر الأُمَّة ما صار (°)، أظهرَ لهم الشيطان الإخلاص في صورة تَنقُص الصالحين، والتقصير في حقوقهم (٦)، وأظهَر لهم الشِّرك بالله في صورة محبَّة الصالحين، وأتباعهم. (٧)]

(١) هذا الأصل ـ وهو الأوَّل ـ يتعلق بحق الله على عباده، والواجب عليهم جهة ربِّهم سبحانه.

وقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال في تبيينه لِهذا: ((فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)).

وقال الله _ جلَّ وعلا _ آمِرًا بِه: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }.

وبدأ المُصنِّف _ رحمه الله _ بهذا الإصل، وقدَّمه على غيره:

لأنّه أصل الإسلام الأوّل الذي خلّق الله لأجله الإنس والجِن، وأرسل الرُّسل، وأنزَل الكتب، وانقسمت الخَليقة بسببه إلى مؤمنين وكافرين، وأهل جنّة ونار خالدين فيهما أبدًا.

وقد أشار المُصنِّف _ رحمه الله _ عند الكلام على هذا الأصل إلى أمور ستَّة:

الأوّل: بيان هذا الأصل، وهو التوحيد، الذي هو: «إفراد الله وحدَه بجميع العبادات».

الثاني: بيان ناقض هذا الأصل وضِدِّه، وهو الشِّرك، الذي هو: «تشريك غير الله مع الله في شيء مِن عبادته».

الثالث: بيان كثرة الأدلة الشرعية في تقرير هذا الأصل، وتبيين ناقضه، وتعدُّد وجوهها.

الرابع: بيان وضوح الأدلة الشرعية في تقرير هذا الأصل، وتبيين ناقضه، وأنَّه شديد لا يَخفى حتى على عوام الناس وأبلَدِهم.

الخامس: بيان انحراف الكثير مِن هذه الأمَّة المُحمدية عن هذا الأصل مع كثرة أدلته الشرعية، وتعدُّد وجوهها، وشدَّة وضوحها.

السادس: بيان شيء مِن واقع انحراف الناس عن هذا الأصل، وبعض أسبابه.

(٢) يُطلق الإخلاص في نصوص الشريعة ويراد بِه أحد أمرين:

الأمر الأوَّل:

إفراد الله وحدَه بالعبادة، وصرْف جميع العبادات له وحدَه.

و هو المُسمَّى اختصارًا «بالتوحيد».

وهو الأمر الذي لأجله خلق الله الإنس والجن، وبعَث إليهم الرُّسل، وأنزَل عليهم الكتب.

وقد قال الله _ عزَّ وجل _ في تقرير خلق الإنس والجن للقيام بهذا الأمر: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }.

وقال الله _ تبارَك وتقدَّس _ في تقرير أنَّ الدعوة إلى هذا الأمر قد عمَّت جميع الأُمَم: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ أُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنْبُوا الطَّاغُوتَ }.

و هو سبحانه الذي قضتى وحكم بِهذا الأمر على جميع عباده، فقال سبحانه: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ }.

وقال تعالى: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }.

فمن صرَف جميع عباداته لله وحدَه فهو مُوجِّدٌ لِربِّه، ومِن أهل التَّوحيد، الذين هُم أهل الجنَّة خالدين فيها أبدًا.

وهذا المعنى لإخلاص الدِّين لله وحدَه هو مُراد المُصنِّف _ رحمه الله _ هُنا.

بدليل قوله عقبه: [وبيان ضِدِّه الذي هو الشِّرك.]، وما ذكرَه بعدَه مِن انحراف الناس فيه، وبعض أسباب هذا الانحراف.

ومِن الأدلة الشرعية الواردة في هذا المعنى للإخلاص:

١ - قول الله سبحانه: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }.

٢ - وقول الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاعَ

وقال الحافظ ابن كثير الشافعي ـ رحمه الله ـ في "تفسيره" (Λ / Λ 0 ع) في تأكيد ذلك:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } كقولِه: { وَمَا أُرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ }.

ولِهذا قال: { حُنَفًاء } أي: مُتَحنِّفين عن الشِّرك إلى التوحيد.

كقولِه: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنْبُوا الطَّاغُوتَ }».اهـ

الأمر الثاني:

إرادة وجْه الله ومرضاته بفعل العبادة الواجبة والمُستحبَّة، وليس الرِّياء والسُّمعة.

ومِن الأدلة الشرعية الواردة في هذا المعنى للإخلاص:

 ١ - قول الله - عزَّ وجلَّ -: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ }.

وهذه الآية فيها المعنى الأوَّل للإخلاص، والمعنى الثاني.

وقد قال العلامة السعدي _ رحمه الله _ في "تفسيره" عند هذه الآية (ص: ٩٣١):

«مع أنَّ الكتب كلها جاءت بأصل واحد، ودِين واحد فما أُمِروا في سائر الشرائع إلا أنْ يعبدوا { الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجْه الله، وطلب الزُّلفي لديه.

{ حُنَفًاءً } أي: مُعرِضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لِدين التوحيد». اهـ

٢ - وقول الله - عزَّ وجلَّ -: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }.

٣ - وقول النبي ﷺ الصّحيح: ((قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشّركَاءِ
 عَنِ الشّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)).

وقال الفقيه أبو زكريا النَّووي الشافعي ـ رحمه الله ـ في شرحه على الصحيح مسلم" (١١٨/ ١١٥-١١٦)، عن هذا الحديث:

«ومعناه: أنا غنِيٌ عن المشاركة، وغيرها، فمن عمل شيئًا لِي ولِغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير.

والمُراد: أنَّ عمل المُرائى باطل لاثواب فيه، ويأثم به».اهـ

وقال الإمام ابن تيمية _ رحمه الله _ كما في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٥٩ ـ باختصار):

«والخالص: أنْ يكون لله، فمَن عمل لِغير الله كأهل الرِّياء لم يُقبل مِنه ذلك، كما في الحديث الصَّحيح: ((يَقُولُ اللهُ - عَنَّ وَجَلَّ -: أَنَا أَعْنَى الشُّركَاءِ عَنِ الشِّركِ ...))».اهـ

وقال الإمام ابن قيّم الجوزية _ رحمه الله _ في كتابه "أعلام الموقعين" (٢/ ٥٦ _ باختصار):

«الإخلاص هو: "تجريد القصد طاعة للمعبود"، وقد دلَّت السُّنة الصريحة على ذلك كما في قوله ﷺ: ((يَقُولُ اللهُ - عَنَّ وَجَلَّ -: أَنَا أَغْنَى الشُّركَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ...))».اهـ

٤ - وقول النبي ﷺ الصّحيح: ((مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى
 اللهُ بِهِ)).

(٣) الشِّرك هو: «تشريك غير الله مع الله في شيء مِن عبادته».

أو بعبارة أُخْرى: ﴿ صَرْفُ العبادة أو شيءٍ مِنها لِغير الله ».

فمَن صرَف عبادته أو شيئًا مِنها _ حتى ولو كانت عبادة واحدة _ لِغير الله فهو مُشركٌ بالله، ومِن أهل الشِّرك، الذين هُم أهل النَّار خالدين فيها أبدًا.

ومِن أمثلة الشِّرك بالله في عبادته: صرف عبادة الدعاء لِغير الله.

كقول بعضهم داعيًا غير الله ربِّه:

«فرِّج عنَّا يا رسول الله، مدَد يا أولياء الله الصالحين، مدَد يا بدوي، أغثنا يا جَيلاني، أجرْنا مِن النَّار يا حسين، شيئًا لله يا سيِّدَة، شيئًا لله يا رفاعي، ادفع عنَّا يا عَيدروس، أنقذنا يا ابن عَلوان، الشفاء يا فاطمة الزهراء، احمِنا مِنهم يا مِير غَنى، أعطنا الولد يا شاذلى».

ومِن الأدلة على أنَّ دعاء غير الله شيرك بالله وكفر:

١ = قول الله - تبارك وتقدّس - زاجِرًا عن دعاء غيره معه: { فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا }.

فنَهى الله سبحانه في هذه الآية:

أَنْ ندعوَ معَه أيَّ أحدٍ، حتى ولو عَظُمَ وجَلَّ بين الخلق، فكان مَلَكًا مُقرَّبًا، أو نبيًّا مُرسَلًا، أو ولِيًّا صالحًا.

ثم حَكَم بأنَّ دعاءَ غير الله مع الله شرك وكُفر.

٢ - وقول الله - جلّ وعلا -: { ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }.

فحكم الله سبحانه في هذه الآية:

بأنَّ دعاء غيره معه غيره شِرك وكُفر، وأخبَر أنَّ مَن يُدعَى معه لا يَسمع مَن دعاه.

٣ - وقال الله سبحانه عن المشركين: { ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ
 وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا }.

٤ - وقال الله - عزَّ وجلَّ - أيضًا عن المشركين: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ
 دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }.

فبيَّن الله سبحانه في هاتين الآيتين:

أنَّ دعاء غير الله مع الله مِن دِين المشركين، ومِن أفعالهم.

وهذا الأصل الذي ذكره المُصنِّف _ رحمه الله _ بعبارة أوسع، هو:

«إفراد الله وحدَه بجميع العبادات الواجبة والمُستحبَّة، بحيث لا تُصرَف إلا إليه وحدَه، ولا يُشرَك معه أحد فيها _ كائنًا مَن كان، ولو كان ملكًا مُقرَّبًا أو نبيًّا مُرسلًا أو وليًّا صالحًا _، وحتى لو كان التشريك في عبادة واحده».

وهذا هو أصل الإسلام الأعظم، ورُكنه الأوَّل، ومعنى: «لا إله إلا الله»، ولا إسلام لأحد إلى به.

وقد جاء مُختصرًا في قول الله _ عزَّ وجل _ آمرًا وزاجرًا: { وَاعْبُدُوا اللهَ وَقَدَ جَاء مُختصرًا في قول الله عزَّ وجل _ آمرًا وزاجرًا: { وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَنَيْئًا }.

وصحَّ أنَّه لمَّا وصلَ أبو سفيان بن حرْب _ رضي الله عنه _ إلى بلاد الشام، قبيل إسلامه، دعاه ملِك الرُّوم هِرَقل إلى مجلسه ثم سأله عن محجد رسول الله عن أمرُكُمْ؟)).

فقال أبو سفيان _ رضي الله عنه _: ((يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ)).

وصحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)). بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).

(٤) ذكر المُصنِّف ـ رحمه الله ـ في هذا الكلام أمورًا ثلاثة تتعلق بهذا الأصل العظيم الأوَّل، والذي هو إفراد الله وحدَه بجميع العبادات، وعدم إشراك غيره معه في شيء مِنها:

الأمر الأوَّل:

أنَّ هذا الأصل أكثر الأصول ذِكرًا في القرآن الكريم، بل أكثر القرآن في تقريره وتبيينه وتوضيحه.

حيث جاء في القرآن:

تبيين معناه، ومعنى ضدِّه، وتبيين أهلههما وأعدائهما، وما جرَى لهم وعليهم ومِنهم، والثواب والعقاب عليهما، ودعوة الرُّسل أمْرًا ونهيًا فيهما.

بل وحتى توحيد الرُّبوبية ذُكر في القرآن على سبيل الاحتجاج لِهذا الأصل، والإلزام بِه.

وتوحيد الأسماء والصفات دليل ظاهر جدًّا على أنَّ الله الذي له الكمال المُطلَق مِن جميع الوجوه، والمُنزَّه عن كل عيب ونقص، هو المعبود الحق، الذي يستحق العبادة وحده.

الأمر الثاني:

أنَّ تقرير هذا الأصل قد جاء في آيات القرآن أكثر مِن غيره، وبوجوهِ عديدة متنوّعة مُختلفة، وفوق ما يَظن الظانون.

الأمر الثالث:

أنَّ آيات القرآن الواردة في تقرير هذا الأصل واضحة بيّنة شديدًا مِن جهة المعنى.

حيث يَفهمُا العوام مِمَّن يَعرفون العربية، أو يقرأون أو يسمعون تفسير ها وترجمتها، بل حتى أبلَدَهم يَفهمُها إذا سلّمه الله مِن البدع والأهواء والتقليد المَمقوت، وشُبَه أهلها ودُعاتها، ولم يَسبقوا إليه قبل الحق وأهله.

وهذا الذي ذكره المُصنِّف _ رحمه الله _:

ظاهرٌ جدًّا، وسهل شديدًا، ومُتيَسِّر كثيرًا، لكل مَن قرأ أو سمع القرآن أو تفسيره وترجمته، فأعطَى ذلك قلبَه وعقلَه، وتدبَّرَ وتفهَّم المعاني بقلب خاشع، وعقل واع، ونفس للحق راغبة طالبه.

لأنَّنا إذا نظرنا في كتاب الله _ عزَّ وجلَّ _ وهو القرآن العظيم، فسنجِد نصوصًا كثيرة، وصورًا عديدة مُتنوّعة في تقرير هذا الأصل.

وقول المُصنف _ رحمه الله _: [مِن وجوه شتَّى.].

أي: وجوه مُتعدِّدة مُتنوِّعة مُختلفة.

الشّرك بالله وحدة بالعبادة، وتَنهى عن الشّرك بالله فيها.

٢ - و هُناك نصوص تُبيِّن حبوط جميع أعمال و عبادات وطاعات مَن يُشْرِك مع الله غيره في شيء مِن عبادته.

- عبادته،
 وهناك نصوص تُبين مآل وعقوبة من أشرك مع الله غيره في عبادته،
 وأنّه النّار، وتحريم الجنّة عليه.
- على الشّرك بالله في عبادته لا يَغفر الله له، وأنَّه في الضّرل البعيد.
- _ و هُناك نصوص تُبيِّن أنَّ الشِّرك في عبادة الله هو دِين الكفار المشركين يالله.

وهُناك نصوص تُبيّن أنَّ مَن يُشركون مِن الخلق مع الله في عبادة الدعاء هُم عباد لله كمن يدعونهم، وأنَّ الصالحين مِنهم لا يدعون إلا الله وحدة.

٧ - وهُناك نصوص تُبيِّن أنَّ أكثر الناس مع إيمانهم بالله يقعون في الشِّرك بالله في عبادته.

٨ = وهُناك نصوص تُبيِّن كفر مَن أشرَك بالله في عبادته، حتى ولو كان شركه بصرْف عبادة واحدة كالدُّعاء.

9 - وهُناك نصوص تبيِّن ضَعف وعجْز مَن يُشركون مِن الخلق مع الله في عبادة الدعاء، وعدم سماعهم لِمَن يُدعونَهم، وتَبرؤ المَدعوِّين مع الله مِن الداعين لهم مع الله.

• ١ - وهُناك نصوص تُبيِّن أنَّ مِن أشرَكَ مع الله غيره في عبادة الدعاء فقد جعله إلاهًا له مع الله شاء أمْ أبَى، وسيكون في الآخِرة مِن المُعذَّبين.

١١ - وهُناك نصوص تُبيِّن أنَّ مَن أشرك مع الله غيره في عبادة الدعاء فهو
 مِن الظالمين، ومِن المُفترين.

١٢ - وهُناك نصوص تُبيِّن أنَّه لا أحد أضل مِن هذا الذي يُشرِك مع الله غيره في عبادة الدعاء، وأنَّه في الضَّلال البعيد.

17 - وهُناك نصوص يَأمر الله فيها نبيَّه محمدًا ﷺ أنَّ يَصبِر نفسَه مع القوم الذين لا يَدعون إلا الله ربّهم وخالقهم، وتَزجُرُه أنْ يَطردَهم عن مجلسه.

ولا غرابة في هذه الأكثرية عن هذا الأصل العظيم في نصوص القرآن، وهذا التنوع في التقرير، وهذه الزّيادة في الاحتجاج، وهذا الوضوح الشديد في الألفاظ والمعاني.

لأنَّ القيام بالتوحيد واجتناب الشِّرك هو:

أصل الإسلام الأوَّل، ورُكنه الأعظم، وأساسه الأكبر، الذي لا يَصِح إسلام أحد إلا بِه.

وقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)).

ومعنى كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله »، أي: "لا معبود بحق تجب عبادته وحدَه إلا الله".

فرلا إله الله العبادة أو شي تَنفِي استحقاق جميع المعبودات مع الله للعبادة أو شيء مِنها.

وَ «إلا الله» إثبات، وهي تُثبِت استحقاق الله وحدَه فقط للعبادة بجميع أنواعها.

وصار مُقتضاها: إفراد الله وحدَه بجميع العبادات، وأنَّ مَن صرَف شيئًا مِن العبادات لغيره فقد خالَف هذا المُقتضمَى ونقضمَه.

وقد فهِم كفار قريش هذا المعنى لكلمة التوحيد، وأنَّه يجب عليهم ترْك عبادة غير الله، وأنَّه لا يجوز لهم أنْ يُشرِكوا مع الله أحدًا في شيء مِن عبادته.

ولِهذا امتَنعوا عن النُّطق بها، لأنَّ المطلوب هو النُّطق بهذه الكلمة: «لا إله إلا الله»، مع العمل بما دلَّت عليه مِن معنى واقتضنته، وهو ترْك صرْف العبادات لغير الله، وإفراده سبحانه بجميعها.

وقد أوضح الله _ جلَّ وتقدَّس _ ذلك عنهم في سورة "ص" فقال سبحانه: { وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا لَشَيْءٌ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا لَشَيْءٌ عَلَى الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }.

وقال الله _ تبارك اسمه _ عنهم في سورة "الصافات": { إِنَّهُمْ كَاثُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ }.

فمعنى «لا إله إلا الله» بنصوص الشَّرع، وإجماع أهل السُّنة والحديث، وكلام أهل اللغة والتفسير، راجع إلى توحيد الألوهية والعبادة وترْك الشِّرك.

ويزيد في وضوح هذا أيضًا ويؤكِّده:

حديث ابن عباس، عن معاذ بن جبل _ رضي الله عنهم _ الصَّحيح.

حيث أخرج البخاري أنَّ النبي ﷺ قال لِمعاذ بن جبل _ رضي الله عنه _ حين بعثَه إلى اليمن داعيًا لهم إلى الإسلام: ((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ للهِ الكِتَابِ، فَلْيكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَجِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى)).

وفي لفظ آخَر عند البخاري، ومسلم: ((فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ -)).

وفي لفظ للبخاري، ومسلم: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ)).

و هذه الألفاظ الثلاثة معناها واحد، وهو: «إفراد الله وحدَه بجميع العبادات».

وقال الإمام ابن جَرير الطبري _ رحمه الله _ في "تفسيره" (٢١/ ١٠ ٤ أو ٢٠/ ٣٥٧):

«{ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } يقول: لا معبود بحقّ تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصّنفات صفاته، فادعوه أيُّها النَّاس مُخلِصين له الدِّين، مُخلِصين له الطّاعة، مُفردِين له الألُوهة، لا تُشركوا في عبادته شيئًا سواه، مِن وثَنِ، وصنم، ولا تجعلوا له نِدًّا ولا عَدْلًا».اهـ

(°) هذه إشارة مِن المُصنِّف _ رحمه الله _ إلى تغيُّر حال أكثر الأُمَّة مع هذا الأصل الأوَّل العظيم والأكبر في الإسلام، وكيف أصبحوا معه.

حيث:

صاروا إلى الشِّرك بالله في عبادته، وإشراك غيره معه فيها، وأشركوا معه مخلوقين مِثلهم، كالأنبياء والرُّسل، والملائكة، والصحابة، وأولياء الله الصالحين، وآل بيت النُّبوة، والجِن والشياطين، والكواكب، والشَّمس، والأصنام، والبقر، والنَّار، وغيرهم مِن مخلوقات الله.

وكما هو مُشاهَد اليوم في بلاد الإسلام مِن الشِّيعة الرافضة، وغُلاة الصوفية الطَّرقية، ومَن تابعَهم.

ومُشاهَد مِن اليهود، والنصاري، والمجوس، والهندوس، والهندوك، والصابئة، والبُوذيين، وأضر ابهم.

(١) هذه إشارة مِن المُصنِّف _ رحمه الله _ إلى أسباب انحراف الناس في هذا الأصل، وُحجَج أهله ودُعاته عليه، وأنَّها ليست أدلة الشريعة، وآيات القرآن وأحاديث النبي على الصَّحيحة.

حيث أصبح هؤلاء القوم _ مِن الشِّيعة الرافضة، والصوفية الغُلاة الطُّرقية، وأتباعهم وأشباههم _:

إذا أُنكِرَ عليهم شِركُهم بالله، بإشراكِهم غير الله مع الله في عبادة الدعاء أو الذّبح أو النّذر أو الطواف أو غيرها، وأُمِروا بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات، وذُكِرَت لهم نصوص القرآن وأحاديث النبي على الثابتة في تحريم هذا الشّرك، ووجوب إفراد الله وحدَه بجميع العبادات يَتّهمون المُنكِرَ عليهم هذا الشّرك والكفر، والأمِرَ لهم بالتوحيد، بأنّه:

- _ يَتنقُّص الأنبياء والرُّسل والصحابة والأولياء الصالحين.
 - _ ويكر هُهم، وفي قلبه شيء عليهم.
 - _ ويُقصِر في ما لهم مِن حقوق وواجبات.

وهذا الكلام يقولونه:

- _ اتَّباعًا للشيطان، وانقيادًا للأهواء، وانتصارًا للمذاهب والشُّيوخ والطُّرق والبدع والفِرَق.
 - أو جهلًا بشريعة الله الرحمن.
 - أو نمويهًا وتلبيسًا على العَوَام والجُهَّال وضِعاف العلم والدِّين.
 - _ أو عنادًا واستكبارًا حتى لا يُفضَعوا أمام الناس، وعبر التاريخ.
 - _ أوببعض هذه المذكورات، أو بجميعها.

مع أنَّهم في حقيقة الأمر:

هُم المُنتقِّصنُون لله الخالق، بشركِهم بالله في عبادته.

وقد جاءت آيات عديدة في القرآن يُنزِّه الله نفسته فيها عن شركهم هذا، ويَدمُّهم بسببه، ويُوبِّخُهم عليه.

كقول الله _ عزَّ وجلَّ _: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَيَقُولُونَ هَوُلَاءِ شُفْعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }.

وقول الله ـ تبارَك وتقدَّس ـ: { قُلْ أَفَعَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الشَّكُونَنَ مَنْ الشَّاكِرِينَ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطُويَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطُويَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }.

وهُم في حقيقة الأمر أيضًا:

الظالمون، لأنَّ الظلم: ﴿وضْع الشيء في غير موضِعه›.

وهُم قد وضَعوا العبادة في غير موضِعها، ووضَعوا الدعاء في غير موضِعه، موضِعه، لأنَّ العبادة ومِنها: الدعاء حق لله تعالى وحدَه، وهُم صرفوا ذلك الحق لِمخلوقين وعباد مِثلهم.

ولهذا عابَهم الله _ عزَّ وجلَّ _، وسفَّههُم بقوله سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ }.

وجعلَهم الله _ جلَّ وعلا _ ظالمين، فقال سبحانه: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }.

وقال الله _ جلَّ وعزَّ _: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللهِ إِنَّ الشِّرِكَ لَظُنْمٌ عَظِيمٌ }.

وهُم في حقيقة الأمر أيضًا:

المُعتَدون الباغون على حق الله تعالى بإفراده وحدَه بجميع العبادات، وعدم إشراك غيره معه في شيء مِنها، وهُم المُقصِدرون في حقوق الله ربِّهم وخالقهم.

حيث صحَّ أنَّ النبي عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُ إِلَّهُ مَنْ لَا يُعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُ إِلَّهُ شَيْئًا يُشْرِكُ إِلَّهُ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ: أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).

وهُم في حقيقة الأمر أيضًا:

— المُنتقِصون للأنبياء والصالحين، المُعتَدون عليهم، لأنَّهم قد أعطوهم حق الله وحدَه، بأنْ يُعبدَ ولا يُشركَ بِه في عبادته، وغلو فيهم هذا الغُلو الشَّنيع بإنزالِهم منزلة الله في العبادة.

_ والمُخالِفون لِمَا جاءت وأمرَت بِه الأنبياء والرُّسل جميعًا مِن إفراد الله وحدَه بجميع العبادات، ونَهت عنه مِن إشراك غير الله معه في شيء مِنها.

- وهُم المُفارِقون لما كان عليه الأنبياء والصالحون مِن إفراد الله وحده بجميع العبادات، وعدم الإشراك بِه فيها.

وأمَّا مَن يقول للناس:

«اصرفوا جميع عباداتكم لله وحده، ولا تُشركوا معه أحدًا فيها، لا ملكًا، ولا نبيًّا، ولا صالحًا، ولا غيرهم».

فهذا قد أحسن إلى الصالحين، وأنزَلهم منزلتهم الشرعية، منزلة العبودية لله، لا العبادة مع الله، وأحبَّهم ووقرَّ هم، ولم يَنتقِصنهم.

بخلاف هذا الذي يَصرف للصالحين بعض العبادات مع الله، فهذا قد انتقصنهم واعتدى عليهم قولًا وفعلًا، وليس بمُحِبِّ لهم ولا مُعظِّم حقيقة، وإنْ زَعم ذلك بلسانه.

والصالحون أنفستُهم سَيتبرَّ وون مِنه يوم القيامة، ومِن صرْفه لهم بعض العبادات مع الله، وجعلِه لهم شركاء مع الله في عبادته ودعائه.

حيث قال الله _ عزَّ وجلَّ _: { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.

وقال الله سبحانه: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ الثَّاسُ كَاثُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ }.

(٧) هذه إشارة مِن المُصنِّف _ رحمه الله _ إلى إحدى شُبَه هؤلاء القوم التي يدفعون بها عن أنفسهم انحرافهم عن هذا الأصل الأوَّل، ويُضِلون باسمِها مَن تأثر بِهم، وأحسن الظن فيهم.

حيث أصبح هؤلاء القوم _ مِن الشِّيعة الرافضة، والصوفية الغُلاة الطُّرقية، وأتباعهم وأشباههم _:

إذا أُنكِرَ عليهم شِركُهم بالله، بإشراكِهم غير الله مع الله في عبادة الدعاء أو الذَّبح أو النّذر أو الطواف أو غيرها، وأُمِروا بإفراد الله وحده بجميع العبادات، وذُكِرَت لهم نصوص القرآن وأحاديث النبي على الثابتة في تحريم هذا الشّرك، ووجوب إفراد الله وحده بجميع العبادات:

يُبرِّرُونَ لأنفسهم، ويُوجِدون لهَا المَخارجَ أمام الناس بأنَّ شِركَهم وإشراكَهم غير الله مع الله في عبادته إنّما يفعلونه محبَّة للصالحين، وأنَّه مِن محبَّتهم، وليس مِن الشِّرك بالله.

وسُبحان الله كيف يكون الشِّرك بالله مِن محبَّة الصالحين؟ وهو ضِد ما يرضاه الله، وأمَر بِه.

حيث صحَّ أَنَّ النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)).

كيف يكون مِن محبَّة الله؟ و هو اعتداء على حق الله تعالى بأنْ يُفرَد وحدَه بجميع العبادات.

حيث قال الله _ عزَّ وجل _: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ }.

وقال الله سبحانه: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِللهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }.

بل هذا الفعل منهم _ بصرف بعض العبادات لغير الله _، وهذا القول والتبرير لِفعلهم، هو:

مِثل ونفس فِعل وقول وتبرير المشركين مِن قريش وغير هم للنبي صلى الله عليه وسلم وللناس، حين دعاهم الله إلى إفراد الله وحده بجميع العبادات، وترْكِ إشراك غير الله معه في شيء مِنها.

حيث قال الله _ عزَّ وجل _ عنهم: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَوُلَاءِ شُفَعَاوُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْشَعْهُمْ وَيَقُولُونَ هَوُلَاءِ شُفْعَاوُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْسَمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبُحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }.

وقال الله تعالى عنهم: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }.

ومثل فعل قوم نوح مع الصالحين من قومهم:

حيث أخرج البخاري عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ أنَّه قال في قول الله تعالى عن قوم نوح _ عليه الصلاة والسلام _ { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا }:

((صَارَتِ الأَوْتَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ.

أَمَّا وَدُّ: كَانَتْ لِكَلْبِ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ: كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ: فَكَانَتْ فَكَانَتْ فَكَانَتْ فَكَانَتْ فَكَانَتْ فَكَانَتْ فِكُانَتْ لِمُرَادِ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ: فَكَانَتْ لِجَمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَع.

أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ ثُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِ هُو مِ ثُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا فَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنْسَتَحَ العِلْمُ عُبِدَتْ)).

وأخرج ابن جَرير في تفسيره"، عن محجد بن قيس _ رحمه الله _ أنَّه قال في شأن هؤلاء الخمسة مِن قوم نوح _ عليه السلام _:

((كَانُوا قَوْمًا صَالِحَيْنَ مِنْ بَنَى آدَمَ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: «لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانَ أَشُوقَ لَنَا إِلَى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ»، فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا كَاثُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرَ»، فَعَبَدُوهُمْ)).

وهذا أيضًا مِن دلائل:

أنَّ أوَّل شِرك بالله في عبادته حصل في الأرض، كان بشُبهة محبَّة الصالحين، وتعظيم الصالحين، والقيام بحقوق الصالحين.

ومصداق ذلك قول الله تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَعْرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقّ }.

وصحَّ عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ أنَّه قال: ((كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا بَعَثَ اللهُ النَّبِيِينَ وَالْمُرْسَلِينَ)).

وقد كان مِن آلهة المُشركين التي تُعبَد مع الله بصرْف شيء مِن العبادات لها:

«اللَّات»، وكان رجلًا يُحسِن إلى حُجاج بيت الله الحرام بإطعامهم.

وقد أخرج البخاري، عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ أنَّه قال: ((كَانَ اللهُ عنهما _ أنَّه قال: ((كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُ سَوِيقَ الْحَاجِ)).

والحق الذي لا مَحيص عنه، ولا رَيب فيه ولا شَك، وهو يَقين ثابت وقطعى:

أنَّ الصالحين عبادٌ لله مِثلنا، والعبد مطلوب مِنه أنْ يَعبد الله بصرْف جميع عباداته له وحدَه، لا أنْ يُصبِح معبودًا مع الله، وإلهًا آخَر مع الله تُصرَف له العبادات مِن دعاء، وغيره.

كما قال الله _ جلَّ وعلا _ مُسَفِّهًا مَن يَصرِف عبادة الدعاء لِعبادٍ لله مِثلِه: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ }.

وكما قال الله سبحانه عن عباده الصالحين بحق، وأنّهم يتوجّهون بعبادة الدعاء إلى ربِّهم وحدَه: { قُلِ ادْعُوا الّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشُفُ الضّرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ }.

تنبيه:

هذه الألفاظ: «تنقُّص الصالحين»، «التقصير في حقوق الصالحين»، «محبَّة الصالحين»، «اتِّباع الصالحين»، وأشباهها، أُطلِقت مِن قِبَل هؤلاء القوم تبريرًا للنفس، وتدليسًا على الخلق، وتنفيرًا عن الحق، وترغيبًا في الباطل،

بوضع الألفاظ المُحبِّبَة للشِّرك بالله في عبادته، والألفاظ المُنفِّرة عن توحيد الله وإفراده وحدة بجميع العبادات.

والأسماء لا تُغيِّر الحقائق، ولا تُغيِّر المُسمَّيات الصَّحيحة والشرعية للأشياء والأفعال والأقوال والأحوال والصور.

وحقيقة فعلهم واسمه شرعًا ولُغة وإجماعًا:

أنَّه شِرْك بالله، ومِن مُبطِلات الإسلام، وأهله مُشرِكون، ومِن أهل الشِّرك بالله، الذين هُم أهل النَّار خالدين فيها.

ثمَّ قال الإمام محد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _:

[الأصل الثاني (١):

أمَر الله بالاجتماع في الدِّين، ونَهى عن التَّقرُّق فيه. (٢)

فبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا تفهمُه العوام. (٣)

ونهانا أنْ نكون كالذين تفرَّقوا واختلفوا قبْلَنا فهلكوا. (٤)

وذكر أنَّه أمَر المسلمين بالاجتماع في الدِّين ونهاهم عن التَّفرُّق فيه. (٥)

ويزيده وضوحًا ما وردَت به السُّنة من العجَب العُجاب في ذلك. (٦)

ثم صار الأمر إلى أنَّ الافتراق في أصول الدِّين وفُروعه هو: العلم والفقه في الدِّين. (٧)

وصار الأمر بالاجتماع في الدِّين لا يقوله إلا زِنديق أو مجنون. (^)]

(۱) هذا الأصل _ وهو الثاني _ يتعلَّق بدين الله الإسلام الذي ارتضاه لِعباده، وبعَث بِه رسوله محمدًا ﷺ، والواجب على الداخلين فيه معه وجهته.

وقد كان الأصل الأوَّل عن حق الله تعالى على العباد، وهو: «أنْ يَعبدوه و لا يُشركوا بِه شيئًا».

و هو الدِّين الذي جاءت بِه الرُّسل والأنبياء جميعًا، واتفقوا على دعوة أُمَمِهم إليه، كما قال الله _ عزَّ وجلَّ _:

{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاعُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ }.

وواجب أنْ يَجتمع أهله عليه اعتقادًا وعملًا ودعوة، وقولًا وفِعلًا وترْكًا، لِيَقوَى ويَتقوَّوا، ويَبقَى ظاهرًا في الأرض كلها، وفي الأزمان جميعها، ويَنجوا في الآخِرة ويَسلَموا، وترتفع درجاتهم ومنازلهم في الجنَّة.

ولا يَحصل اجتماعهم عليه إلا بالعمل بِه وفق ما جاء بِه النبي ، وما كان عليه عليه و أصحابه _ رضى الله عنهم _ مِن سبيل.

ولِهذا الغرض ثنَّى المُصنِّف _ رحمه الله _ بِهذا الأصل.

فبيَّن حقيقة الدِّين ووجوبِه أوَّلًا، ثم وجوب الاجتماع والتعاضد عليه.

(٢) هذا هو نصُّ هذا الأصل:

«أمر الله بالاجتماع في الدِّين، ونَهي عن التَّفرُّق فيه».

وهُنا ثلاثة أمور يَنبغي أنْ تُفهَم، ويُلتفت إليها، ويُسعَى في العمل بها وتطبيقها ونشرها وتبيينها:

الأمر الأوَّل:

أمْر الله تعالى عباده المسلمين بالاجتماع في الدِّين يَدُل على أنَّه: عبادة وقُربة وطاعة لله، يجب القيام بها.

ونَهيه سبحانه عن التَّفرُق في الدِّين يَدُل على أنَّه: معصية لله، يجب الحذر مِنها، وترْكها.

لأنَّ الأصل في الأمر الوجوب، وفي النَّهي التحريم.

ولأنَّ العبادة، كما في كتاب العبودية" (ص: ٤٤)، للإمام ابن تيمية _ رحمه الله _:

«اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه مِن الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة». اهـ

وقال العلامة السعدي _ رحمه الله _ في كتابه "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" (٢/ ٣٦١):

«العبادة والعبودية لله: اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه مِن العقائد وأعمال القلوب وأعمال الجوارح.

فكُل ما يُقرِّب إلى الله مِن الأفعال والتُّروك فهو عبادة، ولهذا كان تارك المعصية لله مُتعبِّدًا مُتقرِّبًا إلى ربِّه بذلك». اهـ

الأمر الثاني:

الأمْر بالاجتماع المَمدوح في القرآن إنَّما هو: الاجتماع في الدِّين، وعليه. والنَّهي عن التَّفرُّق المَذموم في القرآن إنَّما هو: التَّفرُّق في الدِّين.

وأمًّا الاجتماع على الأمور الدُّنيوية والتَّفرُّق فيها، مِن علوم، وفنون، وصناعات، ومِهَن، وتجارات، وأشباه ذلك فغير مُراد.

الأمر الثالث:

الأمَّة الإسلامية مِن شرقها إلى غربها، وشمالها إلى جنوبها، وجميع مَن يعيشون فيها مِن مُسلمين مِن عرب وعجَم، ومَن يعيش مِن المسلمين في بلاد كفار، لا يُمكن أنْ تجتمع ويجتمعوا:

_ إلا على الدِّين القويم الصَّحيح الذي كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه _ رضى الله عنهم _.

_ إلا على التوحيد والسُّنة، والمُعتقد الصَّحيح، والمنهج القويم، الذي كان عليه السَّلف الصالح مِن أهل القرون الأولى المُفضَلَة، وعلى رأسهم الصحابة _ رضى الله عنهم _.

_ إلا على قال الله تعالى، وقال رسوله هذا، وقال الصحابة _ رضي الله عنهم _، وبفهْمهم.

كما اجتمعوا في زمن النبي ﷺ، وخلفائه الراشدين.

وكما سيجتمعون في آخِر الزَّمان حين وجود المَهدي، ونُزول عيسى بن مريم _ عليه السلام _.

ولن تجمعهم قومِيَّة، ولا قبَليَّة، ولا لُغة، ولا وطن، ولا مال، ولا قوة عسكرية، ولا ولاية حاكم.

ولن تجمعهم فِرقة ضالة مُنحرفة تَنسِب نفسها إلى الدِّين، كالشِّيعة الرافضة، والصوفية الطُّرقية، والخوارج التكفيرية، والجَهمِية، والمُعتزِلة، والأشعرِية، والإخوانيَّة، والتبليغيَّة، وأضرابهم.

ولن يجتمعوا على شيوعية، ولا بعثيَّة، ولا ديمقراطية، ولا علمانية، ولا لِبرالية، ولا أشباهها.

وهذا أمر ظاهر ومُستفيض شرعًا وقدرًا، وواقعًا وتاريخًا.

وفي هذا يقول إمام أهل المدينة مالك بن أنس _ رحمه الله _ كما في المسند الموطأ"، وغيره:

((إِنَّهُ لا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إلا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)).

(٣) وصنف المُصنِّف ـ رحمه الله ـ البيان الوارد في آيات القرآن عن هذا الأصل، وتقريره، وأهميته، بأمرين:

الأمر الأوَّل:

بالشافي، أي: أنَّه يَشْفِي ويَكفِي كل مَن أراد الحق والصواب في تقرير هذا الأصل، والعمل بِه، والدَّعوة إليه، والاهتمام بشأنه.

وسبب شفائه وكفايته: أنَّ آياته قد جمَعت بين الكثرة والوضوح.

الأمر الثاني:

بالوضوح الشديد، أي: وضوح معاني ألفاظ أدلة تقرير هذا الأصل، والأحكام المأخوذة مِنها، حتى أنَّ عوام النّاس يفهمونها، ويَعرفون المطلوب بها.

فكيف بفهم من هو أعلَى منهم علمًا وفهمًا، كالعلماء وطلاب العلم، لا ريب أنَّه سيكون أكبر وأقوى.

وعليه: فلا يَحتاج فهمُها ومعرفة المُراد مِنها إلى مزيد علم وفقه، وذكاء مُتَسِع، وقوَّة استنباط.

(٤) ومِن النَّهي الوارد لَنَا في القرآن عن مُشابهة مَن كان قبْل أُمَّتنا في تفرُّقهم في الدِّين:

أُوَّلًا _ قول الله سبحانه في توعُد المُتفرِّقين في الدِّين بعد مجِيء الحق إليهم، وعِلمِهم بِه: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

أي: لا تتفرَّقوا في دِينكم إلى شِيعٍ وأحزابٍ، ولا تختلفوا في اعتقاداته وأحكامه بعد أنْ جاءت في آيات القرآن وأحاديث النبي على الثابتة واضحة بيِّنة، وبلُغَتِكم.

ثانيًا - قول الله تعالى مُخبرًا عن سبب تفرُّق مَن قبلنا في الدِّين لِنحذَر أَنْ نكون مِثلهم، وأنَّه حصل مِنهم بعد العلم بِالحق ومعرفته: { وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ }.

ثالثًا _ قول الله _ تبارَك وتقدَّس _ ناهيًا لَنَا عن مُشابهة المُشركين في تفرُّقهم في الدِّين إلى شِيَع وأحزاب: { وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا فِي الدِّينِ إلى شِيَع وأحزاب: { وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا فِي الدِّينَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا فِي الدِّينَ هُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }.

(°) ومِن الأوامر الواردة في آيات القرآن بالاجتماع في الدِّين، وترْك التفرُّق فيه:

أُوَّلًا _ قول الله _ جلَّ وعلا _ آمِرًا وناهيًا: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }.

أي: اعتصموا جميعًا بدين الله الذي جاء في كتابه القرآن، وفي سُنَّة نبيِّه ﷺ الثابتة، وكان عليه النبي ﷺ، وأصحابه _ رضي الله عنهم _ في زمنه، وبعد وفاته، ولا تتفرَّقوا فيه إلى شِيَع وأحزاب.

والأمر بالاعتصام معلوم معناه، وزاد الله توضيحه بالنَّهي عن ضدِّه، وهو: التفرُّق.

ثانيًا _ قول الله _ عزَّ وجلَّ _ مُوصِيًا لنَا ولِمَن قبلَنا: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَقَرَّقُوا فِيهِ }.

أي: أقيموا هذا الدِّين على الوجه الذي جاء في القرآن والسُّنة النَّبوية الثابتة، وكان عليه النبي على المحابه _ رضي الله عنهم _، ولا تتفرَّقوا فيه إلى شِيعِ وأحزاب.

ثالثًا _ قول الله _ جلَّ وعزَّ _ مُبرِّئًا نبيَّه ﷺ مِن المُتفرِّقين في الدِّين: { إِنَّ النَّافُ وَ فَي الدِّين: { إِنَّ النَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْعٍ }.

وتبرئة الله لِرسوله ﷺ مِن المُتفرِقين في الدِّين:

_ دليل على النَّهي عنه، والأمر بضدِّه، وهو: الاجتماع فيه وعليه.

_ ودليل على أنَّ التفرُّق في الدِّين مِن الذُّنوب الكبيرة، والآثام الخطيرة، والسيئات الغليظة، والأوزار الثقيلة.

(٦) ومِن البيان الواضح المُتعدد الوارد في الأحاديث النَّبوية الثابتة في تقرير هذا الأصل، وأهميته:

أُوَّلًا _ قول النبي ﷺ الصَّحيح مُخبِرًا عن تفرُّق أُمَّته في الدِّين، ومتوعِّدًا مَن تفرُّق فيه مِنهم بالنَّار: ((«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ تفرَّق فيه مِنهم بالنَّار: ((«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الْجَمَاعَةُ»)).

تَانْيًا _ قول النبي الصَّحيح مُحذِرًا أُمَّته مِن التفرُّق والاختلاف في الدِّين، ومُبيِّنًا لهم شيئًا مِن أكبر أسبابه، وهو الابتداع، ومُوصيًا لَهَا بالاستمساك بما يَجمعهم على الدِّين، وهو السُّنة النَّبوية، وسبيل الصحابة _ رضي الله عنهم _: ((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلُفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةً، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةً)).

ثَالثًا _ قول النبي ﷺ الصَّحيح مُسلِّيًا الفِرقة الثابتة على الحق من أمَّته في كل زمَن، ومِن أيِّ بلد: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّ هُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللهِ _ عَنَّ وَجَلَّ _ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ)).

رابعًا - قول النبي ﷺ الصَّحيح مُخبِرًا عن سبب هلاك الأُمَم قبلنا، وأنَّه اختلافهم على أنبيائهم في الدِّين الذي جاءوا بِه مِن عند الله: ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَنِيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَنَيْءٍ فَدَعُو)).

خامسًا _ قول النبي ﷺ الصَّحيح في بيان ما يرضاه الله لَنَا: ((إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا مِنْ وَلَاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ)).

سادسًا _ قول النبي ﷺ الثابت مُرهِبًا لَنَا مِن التشبُّه بأهل الكفر، والبدع والأهواء، والفِسق والفُجور: ((مَنْ تَشَبَّهُ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)).

سابعًا _ قول النبي ﷺ الصَّحيح مُر هِّبًا لَنَا مِن مُتابعة اليهود والنصارى: ((﴿لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبِ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: ﴿فَمَنْ ﴾).

(٧) يحصل هذا الأمر الخطير ويزداد ويقوى وينتشر أكثر:

في زَمَن ضعف التوحيد والسُّنة، وضَعف وقِلَّة أهلهما، وقوَّة انتشار الشِّركيات والبدع، وقوَّة أهلهما، كزَمِن المُصنِّف _ رحمه الله _ وما قبله، وما بعدَه، وكذلك في زمَنِنا هذا، وما بعدَه.

وقد يحصل بلسان الحال أو المقال أو بجميعهما.

حيث:

_ يُصبِح المُخالِف لِما كان عليه السَّلف الصالح مِن العقيدة والمنهج والاتِّباع، والناشِر للشركيات والبدع، والمُفتِي بالتقليد والآراء المُصادِمة للسُّنة، والمُتقلِّد منصِب دار الإفتاء ومشيَخة بعض الجوامع والأربطة والزَّوايا والمعاهد، والقائم بالخطابة والوعظ والقَصبَص، هو:

العالم الفقيه المُقدَّم على غيره، الذي يَنبغي الاجتماع عليه، والالتفات حوله، والأخذ عنه، والنَّشر له.

وما يَنشُره مِن البدع والضَّلالات هو: العلم والفقه.

فكيف إذا كان حاصلًا على شهادات علمية شرعية _ كزماننا هذا _، ستكون الفتنة به أعظم، والأخذ عنه أشد، والضّرر مِنه أكثر.

_ ويُصبِح كلام الفلاسفة وعلماء أهل الكلام وجدلَهم ومنطِقَهم المُبعِد عن الله وشريعته، والمُنفِّر عن نُور القرآن والسُّنة، هو: العلم والفقه، وصاحبه هو: العالم الفقيه الذي يُؤخذ عنه، ويُجتمع عليه.

بل وصلَ الحال بكبار هؤلاء القوم:

أنْ جعلوا حالَهم وعلمَهم أفضل وأدَق وأرسنَخ مِن حال وعلم فقهاء السَّلف الصحالح الذين يُفتون بقال الله تعالى، وقال رسوله هذا، وقال الصحابة _ رضى الله عنهم _:

فقالوا في التفريق بين العِلْمَين، وبين الفريقين، وتفريقًا للدِّين، وترغيبًا في البدع والأهواء:

«مذهب السَّلف أسلَم، ومذهب الخلَف أعلم وأحكم».

- ويُصبِح مَن يُفتِي الناس وِفق أهوائهم ورغباتهم وما يُريدونه، المُتَتبِّع في إفتائه رُخَصَ العلماء وزلَّاتهم، هو: العالم الفقيه، وقوله هو: العلم والفقه المرغوب فيه، والمُناسب للناس.

_ و يُصبِح التَّمذهُب و المذهبية و الأخذ بقول المذهب _ خالف دليل الشريعة أو وافقه _ واجبًا، والتعصُّب له حقًّا وممدوحًا، والخروج عنه إلى الدليل والقول الصواب مُحرَّمًا ومذمومًا، ومطعونًا في فاعله.

- ويُصبِح هؤلاء الأجناس جميعًا هُم: العلماء والفقهاء، وما يقولونه هو: العلم والفقه المطلوب المُناسب للناس.

وهُم مَن يَجتمع لهم الناس بالألوف الكثيرة، ويُتابَعون عبر الفضائيات وبرامج التواصل أكثر مِن غيرهم.

وتَحتفِي بِهم الفضائيات والإذاعات والصُّحف والمَجَلات والمؤتمرات، وتُصدِّر هم، وتُبرز هم، وتدعوا الناس إليهم.

ويُعطَون المناصب الدِّينية العُليا، كالافتاء، ورئاسة الجامعات والمعاهد الشرعية، ويُوكَل إليهم الافتاء والتدريس، ويُسمح لهم بالخطابة والإمامة دون غير هم مِن أهل الحق، أهل التوحيد والسُّنة.

(٨) ويحصل هذا الأمر ويزداد ويقوى وينتشر أكثر:

في زَمَن ضعف التوحيد والسُّنة، وضعف وقِلَّة أهلهما، وقوَّة انتشار الشِّركيات والبدع، وقوَّة أهلهما، كزَمِن المُصنِّف ـ رحمه الله ـ وما قبله، وما بعدَه، وفي زمَنِنا هذا، وما بعدَه.

حيث:

_ يُصبِح الآمِر والداعي إلى الاجتماع على دِين الله القائم على كتاب الله القرآن، والسُّنة النَّبوية الثابتة، ومنهج وفهم السَّلف الصالح مِن أهل القُرون الثلاثة الأولى المُفضَّلة، وعلى رأسهم الصحابة _ رضي الله عنهم _ عند أهل البدع والأهواء، وعند أهل الدُّنيا، وعند المُتأثِّرين بأهل الكفر:

مُتحَجِّرًا، ومُتشدِّدًا، وصاحب عقليَّة قديمة، وأَفُق ضيِّق، وجُمود، ويَهتَم بالقشور، لا اللباب، وداعية فُرْقة وشتات، وغير ذلك.

بل مِنهم من يرميه ظُلمًا وتنفيرًا وتحريضًا:

بالزَّندقة، أو النِّفاق، أو التكفير، أو الإرهاب، أو الجنون، أو العمالة للكفار، أو المُداهنة للسُّلطان، أو الطعن في الأولياء والصالحين، أو إحداث الفتن والقلاقل، وغير ذلك.

والمُصنِّف _ رحمه الله _:

_ قد ذَكر هُنا الزَّندقة، وهي: اتهام بالخَلل الكبير في الدِّين.

وذَكر الجنون، وهو: اتِّهام بالخَلل الكبير في العقل.

بل وصل الحال برُموز ودُعاة فِرَق وجماعات ومذاهب أهل البدع والأهواء:

إلى أنْ أصبحوا يَدْعون إلى التَّفرُق في الدِّين، ويُؤصِّلُون له، إمَّا بلسان الحال، أو لسان المَقال، أو بهما جميعًا، وقولًا وعملًا ودعوة.

ومِن دلائل ذلك وأدلَّته:

أوَّلًا _ تأسيسهم للفِرَق والجماعات والطُّرق، كالخوارج، والمُعتزلة، والإباظية، والأشاعرة، والماتريدية، والإخوان المسلمين، والدعوة والتبليغ، والتحرير، والجهاد، والهجرة، والنُّصرة، وداعش، والنقشبندية، والقادرية، والرفاعية، والأحمدية، والتيجانية، وأضرابهم.

ثانيًا - دعوتهم لِبقاء واستمرار هذا التَّفرُّق والتَّحزُّب:

ـ بمدح هذه الفِرَق والجماعات أو بعضها أو أكثر ها مع ضلالها الكبير.

- ومدح رُؤوسها ورُموزها ودُعاتها مع ضلالهم الشديد.

— ودعوة أهلها والمُنتسبين إليها بأنْ يَعذُر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، وأنْ لا يُفسِد ما اختلفوا فيه مودَّة قلوبهم لبعض، مع أنَّهم قد اختلفوا وخالفوا في أصول كبرى مِن الإسلام، وفي ثوابت دينية عُظمَى، تمس جانب العقيدة، وجانب التوحيد والسُّنة، وذَكر الفقهاء مِن أهل المذاهب الأربعة أنَّ بعضها يدخل في نواقض الإسلام.

ثالثًا _ دعوة كل فِرقة أو جماعة أو طريقة إلى الاجتماع عليها، وعلى مُؤسِّسها، أو مُرشِدها، أو شيخ طريقتها، وأنَّ نجاة الناس، واجتماعهم، وسَدادهم، لن يَحصل إلا عن طريقها، وباتِباعهم.

بل بعضهم لم يَحكُم إلا بإسلام مَن كان مِن أهل جماعته، وفِرقته، وطريقته، أو تعاطف معهم.

رابعًا _ ترْك دعوة الناس إلى التوحيد والسُّنة ولُزوم طريق السَّلف الصالح الذي سيجمعهم ويُوجِّدهم ويُؤلِّف بين قلوبهم، ويُزيل تفرُّقهم في الدِّين، ويُقويهم دِينًا ودُنيا.

ولكن صبرًا يا أهل التوحيد والسُّنة، ومُرابطة يا مَن تدعون الناس إلى العمل بهذا الأصل العظيم، فإنَّه والله حق، وإنَّكم فيه لعلَى حقِّ مُبين.

وقد صبَّر كم وسلَّكم رسول الله ﷺ إليكم، فصحَّ أنَّه قال: ((بَدَأَ الْإِسْلَامُ عُريبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَريبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاعِ)).

حيث بدأ في أوَّل ظهوره غريبًا، وأهله كانوا في قِلة عدد وضَعف، وغُربة شديدة، ويُرمَون بالتبديل لِدين الله، والجنون، والسِّحر، والعظائم الكبيرة.

ويَنْبغي أَنْ يُعلَم، ويرسَخ في الأذهان، ولا يُنْسَى ويُغفَل:

أنَّ مَن يدعو إلى الاجتماع والاعتصام على غير القرآن والسُّنة الصَّحيحة، ومنهج وفهَم السَّلف الصالح مِن أهل القُرون الثلاثة الأولى المُفضَلة، وعلى رأسهم الصحابة _ رضي الله عنهم _، كمَن يدعو إلى فِرقته، أو جماعته، أو جزبه، أو طريقته الصوفية، أو شيخه، هو في ميزان الشريعة:

داعية فُرْقة واختلاف وتناحُر وشقاء وعذاب.

ولن تجتمع الأمَّة على ما أراد، لأنَّها لا تجتمع على ضلالة باتفاق العلماء.

بخلاف من يدعو إلى الاجتماع والاعتصام على القرآن والسُّنة النَّبوية، ومنهج وفهَم السَّلف الصالح، فهو:

داعية اجتماع وائتلاف ورحمة، لأنَّه يَجمع الناس على الحق، ولن يجتمعوا إلا على ذلك.

كما قال إمام أهل المدينة مالك بن أنس _ رحمه الله _ كما في "مسند الموطأ":

((إِنَّهُ لا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إلا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)).

وبهذا جرَت سُنَّة الله، ونصوص الشريعة والتاريخ شاهدان بذلك، وعليه.

وقد كانت الأؤس والخَزْرَج أبناء عمومة، واستمرت الحروب بينهم بعد قدومهم إلى المدينة لمَّا تهدَّم سَد مأرب مِن حينها وحتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مُهاجِرًا مِن مكة.

فلمَّا دخل قلوبهم الإيمان، والتزموا أمر الله وأمر رسوله ، صاروا كأنَّهم أبناء أبٍ وأمِّ واحدة، وكأن شيئًا لم يكن بينَهم.

وقد قال الله تعالى مُمتنًا عليهم وعلى غيرهم مِن أهل الإسلام: { وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا }.

وقال الله سبحانه: { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }. أَلَّفْتَ بَيْنَ هُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.

وصحَّ أنَّ النبي ﷺ قال الأصحابه الأنصار مِن أهل المدينة النَّبوية: ((يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمَتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ)).

ثمَّ قال الإمام محد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _:

[الأصل الثالث: (١)

أنَّ مِن تمام الاجتماع: (٢)

السَّمع والطاعة لِمَن تأمَّر علينا (٣)، ولو كان عبدًا حَبشيبًّا. (٤)

فبيَّن الله (°) هذا بيانًا شائعًا (۱) كافيًا (۷) بوجوه مِن أنواع البيان شرعًا وقدرًا. (۸)

ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر من يدَّعِي العلم، فكيف العمل بِه.

(١) هذا الأصل - وهو الثالث - يتعلق:

بأُمَّة الإسلام، واجتماع أبدان أهلها في الدُّنيا، وتوحُّد صفوفهم، واجتماع كلمتهم، وائتلاف قلوبهم، وعُلو قوَّتهم في الأرض.

ومِن الطُّرق الكبرى التي تُحقِّق لهم ذلك:

إعطاء حاكمهم وسلطانهم المسلم الذي يجتمعون عليه حقوقه الواردة في نصوص الشريعة، مِن السَّمع والطاعة له بالمعروف، والصَّبر على جوره واستئثاره، وترْك الخروج عليه، وعدم نقض بيعته.

وقد كان الأصل الثاني يتعلَّق بحق دِين الإسلام عليهم، و هو أنْ يجتمعوا عليه، ولا يتفرَّقوا فيه.

وكان الأصل الأوَّل يتعلَّق بحق الله تعالى على العباد، وهو: «أَنْ يَعبدوه و لا يُشركوا بِه شيئًا».

وهذا تناسب عجيب، وترتيب دقيق مِن المُصنِّف _ رحمه الله _.

حيث بيَّن حقيقة الدِّين ووجوب إقامته أوَّلًا، ثم وجوب الاجتماع عليه ثانيًا، ثم وجوب القيام بالحق الذي يُوجِّد صفوف المسلمين ويُقويهم ويجمع كلمتهم على أُمور الدِّين الدُّنيا، وهو حق الحاكم ثالثًا.

ولعل المُصنِّف _ رحمه الله _ أخذ هذا الترتيب مِن قول النبي صلى الله عليه وسلم الصَّحيح:

((إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ)).

(٢) أي مِن تمام الاجتماع على دِين الله الإسلام:

القيام بحق الحاكم الوارد في نصوص الشريعة.

لأنَّ الناس إذا لم يُعطوا الحاكم حقوقه الواجبة عليهم في نصوص الشريعة اختَلَّ عقد دِينهم، وعقد دُنياهم.

حيث ستعم الفوضتى البلاد، ويقتتل الناس، ويتفرَّقوا، ويتباغضوا، ويذهب الأمْن، ويتردَّى الاقتصاد، ويتسلَّط الأعداء، ويزداد أهل الإجرام، وتكثر الفِرَق والأحزاب والجماعات والانتماءات، وينشغل الناس عن حفظ دينهم وإقامة دُنياهم بحماية أنفسهم وأهليهم وأموالهم وبيوتهم وحيِّهم وقريتهم ومدينتهم مِن القتل والاعتداء، والنَّهب والسِّرقة.

وقد قال الإمام ابن تيمية _ رحمه الله _ في كتابه "منهاج السنُّنة النَّبوية" (٤/ ٢٨٥)، عن الناقضين لِحق الحاكم بالخروج عليه:

«فلا أقاموا دِينًا، ولا أبقَوا دُنيًا». اهـ

ويؤكد ضعف الدِّين بسبب ذلك قول النبي الله المَّحيح: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَالْهَرْجِ عَلَيْهُ الْمَرْجِ كَالْهَرْجِ الْعَبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَالْمَرْجِ الْعَبَادَةُ الْعَبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَالْمُرْجِ الْعَبَادَةُ الْعَبَادَةُ فِي الْهَرْجِ الْعَبَادَةُ اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهُ اللهَ اللهُ ا

وقال الفقيه أبو زكريا النَّووي الشافعي ـ رحمه الله ـ في شرحه على الصحيح مسلم" (١٨٨ / ١٨٨ ـ رقم: ٢٩٤٨)، عند هذا الحديث:

«المُراد بالهرج هذا: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيها أنَّ الناس يغفلون عنها، وينشغلون عنها، ولا يَتفرغ لَها إلا الأفراد». اهـ

أمَّا لو أعْطَى الناس حاكمهم حقَّه الواجب له في الشريعة، واجتمعوا عليه:

فستأمن بلادهم، وتضعف الفتن والشُّرور فيها، ويَنكسِر الأعداء وأهل الإجرام، ويَقل التفرُّق والاختلاف، ويَقوَى ائتلاف القلوب، وتكثُر مظاهر التراحُم، ويتفرَّغ الناس للقيام بدينهم، وإصلاح دُنياهم.

وحقُ الحاكم على الرَّعية الذي ذكره المُصنف ـ رحمه الله ـ في هذه الرِّسالة:

مِن الأصول الكبيرة في الإسلام، والركائز العظيمة في اعتقاد السَّلف الصالح أهل السُّنة والحديث والجماعة، ومُتَّفَق عليه بينَهم.

لأنَّ مصالح الدِّين والدُّنيا، والعباد والبلاد، ودفع الشُّرور عن المسلمين ودِينهم وبلادهم لا تقوم حقَّ القيام، وتقوى وتزيد إلا بِه.

ويَستحيل أنْ تُعلِّمنا شريعة الإسلام ما يتعلق بقضاء الحاجة مِن أحكام وآداب لِنسير فيها وفْق نصوصها، ثم تَترُكنا في هذا الأصل الكبير والخطير نسير على ما تُملِيه عقولنا، وتطلبه أمزجتُنا، وتُقرِّره الفِرَق والأحزاب والجماعات الموجودة في مُجتمعاتنا قديمًا وحديثًا، ويَقترِحه السِّياسيون والإعلاميون والمُحلِّلون، ويُفتِي بِه أهل البدع والأهواء، وتُقعِّدُه فِرِقُهم وأحزابهم وجماعاتهم.

بل إنَّك لن تجد كتابًا حديثيًّا مِن كتب "الصِتحاح" أو "السُّنن" أو "المسانيد" أو "المَعاجم" أو "المُستخرجات" إلا وفيه أحاديث مُتعدّدة تُقرِّر هذا الأصل، وتُبيِّن لهم كيف يُعاملون الحُكَّام.

حتى بلغت الأحاديث النَّبوية في هذا الباب أعلَى درجات الصِّحة والثُّبوت، وهي: التواتر.

حيث قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم الحنبلي ـ رحمه الله ـ في كتابه الحاشية الدُّرة المُضية" (ص: ١٣٧):

«والأحاديث في وجوب طاعة الولاة متواترة». اهـ

ولا تكاد تجد كتابًا مِن كُتب تقرير مُجمَل اعتقاد السَّلف الصالح أهل السُّنة والجماعة والحديث المُختصرة والمُتوسِّطة والمُطوَّلة إلا وفيه:

- تقرير هذا الأصل، والتأكيد عليه، وبيان أهميته.

_ والرَّد على أهل البدع والأهواء المُخالِفين للشريعة فيه.

وذلك:

بذكر آيات القرآن، وأحاديث رسول الله هذا وآثار الصحابة _ رضي الله عنهم _، وأقاويل التابعين تلامذة الصحابة، ومَن بعدَهم مِن أئمة أهل السُّنة مِن فقهاء ومُحدِّثين، أو ببعضها، أو أكثرها، في تقريره وتثبيته.

وهو أصل ثابت بالقرآن، والسُّنة، والإجماع.

أمًّا القرآن، فقد قال الله _ جلَّ وعلا _: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا اللَّامُرِ مِنْكُمْ }.

وصح عن أبي هريرة _رضي الله عنه _: ((فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: { وَأُولِي وَوَلِ اللهِ تَعَالَى: { وَأُولِي اللهَ عَنه مِنْكُمْ }، قَالَ: هُمُ الأُمَرَاءُ)).

وأمَّا السُّنة النَّبوية:

١ - فقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ)).

٢ - وصح عنه ﷺ أنَّه قال: ((تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ،
 وَأُخِذُ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ)).

٣ - وصح أنَّه ﷺ قال: ((مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةً لَهُ)).

وأمَّا الإجماع:

فقد قال الفقيه أبو عبد الله ابن مجاهد الطائي كما في كتاب "الإقناع في مسائل الإجماع" (١/ ١٠٧ ـ رقم: ١٧٩)، لابن القطان:

«وأجمعوا على أنَّ السمع والطاعة واجبة لأئمة المسلمين». اهـ

ونقل الإجماع على ذلك أيضًا:

أبو حاتم الرَّازي، وأبو زُرعة الرَّازي، وحرْب الكرماني، وابن حزم الظاهري، وابن بطة العُكبَري الحنبلي، وابن أبي زيد القيرواني المالكي، وابن أبي زيد القيرواني المالكي، وابن أبي زَمِنِين المالكي، وابن الحداد الشافعي، وأبو الفتح نصر المقدسي، وأبو القاسم الأصفهاني، والقاضي عياض المالكي، وابن تيمية، وابن المُلقِن الشافعي، وكثيرون جدًّا.

(٣) هذا هو نص هذا الأصل:

«السَّمع والطاعة لِمَن تأمّر علينا»، أي: لِمَن كان حاكمًا علينا، وعلى دِين الإسلام مِثلِنا.

وسواء سُمِّيَ بالأمير أو الخليفة أو الملك أو الحاكم أو الرئيس أو السلطان أو الوالي، أو غيرها مِن الأسماء.

أو حكم بموجب العهد له والاستخلاف مِن الحاكم الذي قبله، أو باختيار أهل الحَل والعقد له أو أهل الشورى، أو بالقوة و غلَبة السلاح.

أو كان خليفة عامًّا للمسلمين، أو حاكمًا لِقطر أو عدَّة أقطار مِن بلاد المسلمين.

وهذا كله مُجمَع عليه بين العلماء.

والسمع والطاعة للحاكم:

لا تدخل فيها المعصية لله، حيث لا يجوز أنْ يُطاع الحاكم في فعلها بالنَّص، والإجماع.

أمَّا النَّص:

النبي الله المستحيح: ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسلِمِ السَمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)).

٢ - وقوله ﷺ الصّحيح: ((لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ
)).

وأمَّا الإجماع:

١ - فقد قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - كما في "مجموع الفتاوى"
 ٣ / ٣):

«ولكن عليَّ أنْ أطيع الله ورسوله، وأطيع أولِي الأمر إذا أمروني بطاعة الله، فإذا أمروني بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

هكذا دلَّ عليه الكتاب، والسُّنة، واتفق عليه أئمة الأُمَّة». اهـ

١ ـ وقال الفقيه ابن المُلقِّن الشافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه "التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح" (١٨/ ٦٤):

«فالإجماع قائم: على وجوب طاعة الإمام في غير معصية، وتحريمها في معصية، وبه نطقت أحاديث الباب». اهـ

وإذا لم تسمع وتُطيع الرَّعية لِحاكمها في غير معصية الله، وتتعامل مع عدله وجوره واستئثاره وفق نصوص شريعة الله:

_ فسيقوم سوق الفتن والفساد والشُّرور في بلادهم، ويدخل في ذلك الخاص والعام مِنهم.

- وسيزيد الأعداء في تأجيج الفتن بين أهل البلد الواحد، وتطويل أمدِها فيهم، ودعمهم عليها بالمال، والسِّلاح، والتدريب، والرأي، والإعلام، والقرارات.

وحينها تُراق الدِّماء، وتُنهب الأموال، وتُهتك الأعراض، ويذهب الأمن والشِّبع، ويَحل الخوف والجوع والتشريد في الأرض، وتَمتلِئ المُستشفيات بالجَرحَى والمُصابين، ويَضعف الدِّين والشريعة، ويكثر الفساد والإفساد، ويتضاعف المجرمون ويتسلَّطون، وتنقسم البلد الواحد إلى دويلات، ويتباغض أهلها ويتناحرون بعد الأُلفة والائتلاف.

(٤) دليل ذلك مِن السُّنة النَّبوية:

ما صحَّ عن أبي ذَرِّ _ رضي الله عنه _ أنَّه قال: ((إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَائِي: أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ)).

وقد كانت طوائف مِن العرب في الجاهلية وقبل الإسلام، كقريش، وغيرها:

- لا تُقِر لأحد بالسَّمع والطاعة، ولا تَرَى له الرئاسة عليها.

_ ويَرون أنَّ أحقر العبيد وأذلَّهم هو العبد القادم إليهم مِن بلاد الحبشة.

فجاءت نصوص شريعة الإسلام بخلاف ما كانوا عليه، فأمَرَت بالسَّمع والطاعة بالمعروف لِمَن ولِي أمْر الناس وحكَمهم، والاجتماع عليه، وعدم نزْع اليد مِن طاعته وبيعته، والصَّبر على جوره وظُلمه واستئثاره، وتحريم الخروج عليه، كائنًا مَن كان، ما دام مُسلمًا.

حتى ولو كان المُستَعمل عليهم عبدًا مملوكًا، وفي خِلقَتِه عيب، ولونه وشكله لا يَرضونه، كما في الحديث النَّبوي الصَّحيح المُتقدِّم: ((وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشْيًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ)).

وفي حديث آخَر صحيح أنَّه ﷺ قال: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَبِيدٌ كَانَ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)).

وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: ((إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ أَسْوَدُ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا)).

وسبب الأمر بالسمع والطاعة لهذا العبد الذي استُعمِل أو تأمَّر علينا:

أنَّ جلْب مصالح الأُمَّة الكبرى والكثيرة، ودفع المفاسد العُظمى عنها والكثيرة، والكثيرة، المُتعلِّقة بالدِّين والدُّنيا، والعِباد والبلاد هي في القيام بهذا الأصل مع الحاكم المسلم أو نائبه كائنًا مِن كان.

وهذا مُقدَّم على ما تُحِبُّه أو تكرهه نفوس كثير مِن الناس، أو تراه وتُرجِّمه عقولهم مُناسبًا أو غير مُناسب.

(٥) أي بيَّن الله تعالى هذا الأصل:

١ _ شرعًا، بالنَّص عليه في أدلَّة شريعته، شريعة الإسلام.

وهي آيات القرآن العزيز، وأحاديث السُّنة النَّبوية، لأنَّ جميعهما وحْي مِن عند الله.

٢ - وقدرًا، بمشاهدة عباده للآثار والعواقب الناتجة عن مُتابعة أو مُخالفة
 هذا الأصل، والتعامل معه بطريقة الشريعة وبغير طريقتها.

(٦) أي بيَّن الله هذا الأصل لِعباده:

ببيانٍ شرعِيٍّ واضح جَلِي، وشائعٍ ظاهر، ومشهور معروف، لا يَضِل فيه طالب الحق والهدى المُوفَّق لتقريره، والعمل بِه، والدعوة إليه، حتى وإن كان ضعيفًا في العلم.

وقد اجتمعت في تبيين وبيان هذا الأصل أمور ثلاثة:

الأوَّل: كثرة أدِلَّة تقريره وتثبيته في نصوص الشريعة.

الثاني: تنوع وجوه أدلة تقريره في الشريعة.

الثالث: وضوح معاني وأحكام أدلته الشرعية لعامة الناس، فكيف بخاصَّتهم.

ومِن كبير رحمة الله بعباده، وشديد إحسانه إليهم أنَّ شريعته، شريعة الإسلام لم تترُك المُنتسبين إليها في التعامل مع الحاكم:

_ إلى أهوائهم و عواطفهم وأحوالهم مِن ضِيق وسَعة، و عُسر ويُسر، ومنشَط ومكرَه.

- ولا إلى الفِرَق والجماعات ولأحزاب والتنظيمات الموجودة في بلادهم ومجتمعاتهم، أو رُموزها وأصولها وتقريراتها.

- ولا إلى كبارهم ووجهائهم ومُفكِّريهم ومُفتِيهم ومشايخهم ودعاتهم.

_ ولا إلى السِّياسيين والمُحلِّلين والصحفيين والمراسِلين والعسكريين مِنهم.

- ولا إلى شُيوخ وزُعماء قبائلهم وعشائرهم.

- ولا إلى المشاهير مِنهم والناشطين في برامج التواصل الاجتماعي مِن أهل بلادهم وغيرها.

— ولا إلى المُنظّمات الحقوقية والمجالس الأمنية والقنوات الفضائية الموجودة في العالم.

بل أرجعتهم فيه إلى:

شريعة واضحة بيّنة، وعديدة نصوصها ومعلومة، وشائع حُكمها وظاهر مُنتشِر، يَصل إليه وإليها الصغير والكبير، والذَّكر والأُنثى، وبسهولة ويُسْر، ولا يحتاج إلى جُهد كبير، ولا مشقة زائدة، ولا عناء في الوصول إليه، ولا مزيد علم وفقه.

فكُتب الحديث النَّبوي، وكتب اعتقاد السَّلف الصالح لا تكاد تخلو مِن تقريره، وذِكر أدلته الشرعية.

وهذه الكتب في أيدي الناس قديمًا، وسهلة المنال، ومعنا اليوم، حتى إنَّها في هو اتفنا الجوالة، وكمبيوتراتنا حيثما كنَّا.

وفي تأكيد هذا:

صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ)).

وفي تبكيت المُخالِفين لأحكام وعلاج شريعة الإسلام:

صح أنَّ قومًا مِن المشركين قالوا لِسلمان الفارسي _ رضي الله عنه _: ((قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَة، فقال: أَجَلْ، ﴿لَقَدْ نَهَانَا: أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ الْحَجَارِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعِ أَوْ بِعَظْمٍ»)).

(V) أي يكفي ويروي هذا البيان الواضح الشائع المُتعدِّد:

_ نفس كل أحد يُجِب الحق ويُريده ويَطلبه، ويَبحث عن السلامة لِنفسه، ويَسعى في تحقيقها.

_ وأمْرُه وعقله بيده لا بأيدي غيره مِن الأحزاب والجماعات والتنظيمات والمنظمات ورُموزها ودُعاتها، ومَن عنده مِن المُعظَّمين الذين يتأثَّر بِهم، ويأخذ عنهم.

وأمًّا مَن ضَل عنه وفيه:

فقد قال الله _ عزَّ وجلَّ _: { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فقد قال الله _ عزَّ وجلَّ _: { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فقد قال الله _ عزَّ وجلَّ _:

وقال الله _ جلَّ وعلا _ آمِرًا نبيَّه ﷺ: { قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ }.

(^) قول المُصنِّف _ رحمه الله _: «بوجوه مِن أنواع البيان شرعًا وقدرًا» قد تضمَّن أمرين:

الأمر الأوَّل:

أنَّ بيان وتقرير هذا الأصل، أصل: «السَّمع والطاعة للحاكم المسلم» قد جاء مِن وجوه عديدة في الشريعة.

ومِن هذه الأوجَه:

أوَّلًا _ الأمر بالسمع والطاعة للحاكم المسلم.

١ حيث قال الله _ عزَّ وجلَّ _: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }.

٢ - وصح أن النبي على قال: ((السمعوا وأطِيعوا وإنِ استُعمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ
 حَبَشِيٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ رَبِيبَةٌ)).

ثانيًا _ لزوم السمع والطاعة للحاكم المسلم في جميع الأحوال، ما لم يأمر بمعصية لله، فلا يُطاع فيها.

١ حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ
 فيما أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ
)).

٢ - وصح عنه ﷺ أنَّه قال: ((عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ،
 وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ)).

ثالثًا _ وجوب السمع والطاعة للحاكم المسلم حتى ولو جلّد ظهر الإنسان وأخذ ماله.

حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأَخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ)).

رابعًا - تحريم نزْع اليد مِن طاعة الحاكم المسلم.

حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ)).

خامسًا _ بيان غلظ عقوبة من خلَع يدَه مِن طاعة الحاكم المسلم.

حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةً لَهُ)).

سادسًا _ وجوب السمع والطاعة للحاكم المسلم حتى ولو منّع الإنسان مِن حقّه أو حقوقه عليه.

١ - حيث صحّ عن سلَمة بن يزيد - رضي الله عنه - أنّه سأل رسول الله عنه الله عنه - أنّه سأل رسول الله عنه: ((يَا نَبِيَّ اللهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّاثِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَتُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»)).

٢ - وصح أنَّ النبي على قال: ((«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ»)).

سابعًا _ بيان فضل السمع والطاعة للحاكم المسلم.

حيث ثبت أنَّ النبي ﷺ قال للناس في حجَّة الوداع: ((اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَطَيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ)).

ثامنًا _ الإخبار بأنَّ طاعة الحاكم المسلم في غير معصية مِن طاعة الله وطاعة رسوله .

حيث صحَّ أنَّ النبي عَضَائِي فَقَدْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَائِي فَقَدْ عَصَائِي فَقَدْ عَصَائِي فَقَدْ عَصَائِي فَقَدْ عَصَائِي فَقَدْ عَصَائِي عَصَى اللهَ، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَائِي عَصَى اللهَ، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَائِي)).

تاسعًا _ الأمر بالصبر على جور الحاكم وظلمه واستئثاره، والترهيب مِن مُفارقته.

١ حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ
 فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً
)).

٢ ـ وصحَّ أنَّه ﷺ قال: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي)).

٣ ـ وصح عن سُويْد بن غَفَلَة ـ رحمه الله ـ أنَّه قال: ((قَالَ لِي عُمَرُ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ إِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَلْقَاكَ بَعْدَ عَامِي هَذَا ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ، وَإِنْ أُمِرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌ مُجْدَعٌ، إِنْ ضَرَبَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ عَلَيْك عَبْدٌ حَبَشِيٌ مُجْدَعٌ، إِنْ ضَرَبَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ عَلَيْك عَبْدٌ حَبَشِيٌ مُجْدَعٌ، إِنْ ضَرَبَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ أَمْرًا يَنْتَقِصُ دِينَك فَقُلْ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، دَمِي دُونَ دِينِي، فَلاَ تُقَارِقَ الْجَمَاعَة أَمْرًا يَنْتَقِصُ دِينَك فَقُلْ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، دَمِي دُونَ دِينِي، فَلاَ تُقَارِقَ الْجَمَاعَة)).

عاشرًا _ تحريم الخروج على الحاكم المُسلم وقتاله، والترهيب مِنه.

١ حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)).

٢ - وصح عنه ﷺ أنّه قال: ((«سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ
 عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا ثُقَاتِلُهُمْ؟
 قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»)).

٣ ـ وصح أن النبي على قال: ((«شِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ
 وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا ثُنَابِذُهُمْ
 بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا
 تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»)).

٤ ـ وصحَّ عن عُبادة بن الصَّامت ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: ((دَعَانَا النَّبِيُ صلَّى الله عَلَيْه وَسلَّمَ فَبَايَعْنَاه ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعْنَا عَلَى الله عَلَيْه وَسلَّم فَبَايَعْنَاه ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعْنَا عَلَى الله عَلَيْ الله عَلَيْه وَسلَّم وَ الطَّاعَة ، فِي مَنْ شَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَة عَلَيْنَا، وَأَنْ لَسَّم وَ الطَّاعَة ، فِي مَنْ شَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَة عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانً » لا نُنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانً »
)).

حادي عشر _ بيان عقوبة مَن مات وليس في عُنقه بيعة لِحاكمه المسلم. حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)).

ثاني عشر _ وجوب الوفاء ببيعة الحاكم المسلم، وقتال مَن نازعه الحُكم، وفرَّق جماعة المسلمين، وشَق عصاها.

١ حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((«سَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ، فَالْأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»)).

٢ - وصح أنَّه ﷺ قال: ((إنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُقَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ)).

٣ ـ وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: ((إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا)).

٤ - وصح عنه ﷺ أنَّه قال: ((مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ
 قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنْقَ الْآخَرِ)).

الأمر الثاني:

أنَّ بيان وتقرير هذا الأصل، أصل: «السَّمع والطاعة للحاكم المسلم» قد جاء مِن وجوه عديدة قدَرًا.

وذلك بمُشاهدة الناس في واقعهم، وما أخذوه عمَّن يكبُرهم، وقرأوه في كتب التاريخ والسِّير والتراجم التي بين أيديهم عمَّن تقدَّمهم:

_ لِمَا قدَّره الله مِن الآثار والعواقب الكثيرة الناتجة عن مُتابعة أو مُخالفة هذا الأصل، والتعامل مع الحاكم المسلم بطريقة الشريعة، وبغير طريقتها، وفي أيِّ بلد، وأيِّ زمَن.

— وفي أبواب كثيرة ومُتنوِّعة، كأبواب: «الأمْن والخوف، والاقتتال والائتلاف، والجوع والشِّبع، وضعف الاقتصاد وقوَّته، والبقاء في الوطن

والتشريد في الأرض، وزيادة الإرهاب والإجرام وضَعفه، وتوحُّد البلد وانقسامها إلى دويلات، والاجتماع والتفرُّق، وقوَّة تسلُّط الأعداء وضَعفه، وتدمير بُنيَة البلد وبقائها وتطورها»، وغيرها مِن الأبواب.

_ وما صنعته المظاهرات والاعتصامات والثورات والخروج على الحكام من فساد عريض، وشُرور كبيرة، وفتن عظيمة، أضرَّت بالدِّين والدُّنيا، والعِباد والبلاد، والصغير والكبير، والذَّكر والأُنثى.

وقد قال الإمام ابنُ تيميَّةَ ـ رحمه الله ـ بعد أنْ استقرأ لَنَا وسَبَرَ تاريخَ الثُورات على الحُكامِ وشُرُورَها في كتابه "مِنهاج السُّنة النَّبوي" (٤/ ٥٢٨-٥٢٥):

﴿ وقلَّ مَن خرَج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فِعله مِن الشر أعظم مِمَّا تولَّد مِن الخير ». اهـ

وقال أيضًا (٣/ ٣٩١):

«ولعله لا يكاد يُعرَف طائفة خرَجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم مِن الفساد الذي أز الته». اهـ

وقال الحافظ ابن عبد البر المالكي ـ رحمه الله ـ في كتابه "التمهيد" (٢٩٧/٢٣):

«وإلى مُنازعة الظالم الجائر: ذهبت طوائف مِن المُعتزلة، وعامَّة الخوارج.

وأمَّا أهل الحق، وهُم أهل السُّنة، فقالوا:

هذا هو الاختيار أنْ يكون الإمام فاضلًا عدلًا مُحسِنًا، فإنْ لم يكن فالصبر على طاعة الجائرين مِن الأئمة أولَى مِن الخروج عليه.

لأنَّ في مُنازعته، والخروج عليه: استبدال الأمن بالخوف.

ولأنَّ ذلك: يَحمل على هراق الدماء، وشن الغارات، والفساد في الأرض.

وذلك أعظم مِن الصبر على جوره وفسقه.

والأصول تشهد، والعقل، والدّين: أنَّ أعظم المكروهين أوْلَاهُما بالترْك». اهـ

(٩) في كلام المُصنِّف _ رحمه الله _ هذا إشارة إلى مُصيبتين حصَلتا مع هذا الأصل المُتعلِّق بمُعاملة الحاكم، وحقِّه على الرَّعية:

المُصيبة الأولى:

أنَّ هذا الأصل قد أصبح لا يُعرَف عند أكثر من يَدَّعي العلم الشرعي، وينتسب إلى أهله، ويتكلم فيه.

وأراد بذلك:

علماء ودُعاة أهل البدع والأهواء، وضِعاف العلم مِن الدُّعاة والوعاظ والخطباء والقُصَّاص الذين ينتسِبون للفرَق والجماعات والأحزاب، أو مِن يتعاطفون معهم، ويتأثَّرون بأفكار هم.

حيث لا تسمع منهم تقرير هذا الأصل الكبير في الإسلام ـ لا كتابة ولا نُطقًا _ مع مُدَّة بقائهم الطويلة في الإفتاء والتدريس والوعظ والخطابة، وحاجة الناس الشديدة إليه، وكثرة الفتن بسبب الإخلال به، وانحراف الملايين عنه.

لأنَّهم إنْ قرَّروه كُسِرت فِرَقهم وأحزابهم وجماعاتهم، وانهدَمت مناهجهم، وضَعُفت شعبيتهم، وتقهقرت الجماهيرية عنهم.

بل ستَجد أنَّهم إذا وجدوا فُرصنة ومَدخَلًا قرَّروا بالقول أو الفعل خلاف هذا الأصل أو ما يُضعف شأنه ومكانته.

وإذا قرَّروه فنادرًا، وعلى مَضنض وضنعف وعجَلة وإجمال، حين يَضطرُ هم السلطان، وأجهزة الدولة، ويخافون على أنفسهم.

أو يُقرِّرونه في حقِّ الخليفة العام الذي يَحكم جميع بلاد المسلمين، دون حُكام الولايات القطرية التي لكل بلد مِنها حاكم وحكومة مُستقلَّة.

أو في حق الحاكم المسلم العادل الذي لا يَحكم إلا بالشريعة دُون الحاكم المسلم الجائر، والذي قد لا يَحكم بالشريعة.

مع أنَّ نصوص الشريعة قد استفاضت في تقرير هذا الأصل، وقام إجماع السَّلف الصالح أهل السُّنة والحديث والجماعة عليه في حق كل بَرِّ وفاجر مِن الولاة، وفي حق مَن يَحكم قطرًا مِن الأقطار، أو أكثر، أو كان خليفة عامًا للمسلمين جميعهم.

ولولا فضل الله _ عزَّ وجلَّ _ على عباده، ورحمته بهم:

ببقاء علماء وطلاب علم قِلَّة مِن أهل السُّنة والجماعة والحديث الذين يَسيرون على عقيدة ومنهج وطريقة السَّلف الصالح إلى قيام الساعة يُحيون هذا الأصل باستمرار، ويزدادون في إحيائه عند تعاظم الفتن المُتعلِّقة بِه، لاندرس وانمَحَى، وأصبح لا يَعلم عنه إلا أقل القليل، والنُدرة مِن الناس.

المُصيبة الثانية:

أنَّ هذا الأصل قد أصبح لا يُعمَل به:

— عند أكثر هؤلاء الذين يَدَّعون العلم الشرعي، ويَنتسِبون إلى أهله، مِن علماء ودُعاة أهل البدع والأهواء، وضِعاف العلم مِن الدُّعاة والوعاظ والخطباء والقُصتَاص.

_ وعند الكثيرين ممَّن تَبعهم مِن عوام الناس، وتأثَّر بِهم، وتعاطف معهم، وصدَّق ووثِق بما يقولون.

- وعند أكثر الفِرَق والأحزاب والجماعات والتنظيمات ذات الانتساب الدِّيني غير الصَّحيح، وذات الانتساب اللادِينِي التغريبي، لأنَّهم طُلاب حُكم، والعمل بهذا الأصل يُعيقهم عنه، ويَمنعهم مِن الوصول إليه.

— وعند الكثير مِن المُحلِّلين السياسيين والعسكريين، والكُتَّاب في الصُّحف والمجلات ومواقع الإنترنت وبرامج التواصل الاجتماعي، والمُتكلِّمين في الفضائيات والإذاعات وبرامج التواصل.

— وعند الأعداد الغفيرة مِن أهل الدُّنيا، الذين جلُ همَّهم المال والوظائف والمناصب والجاه.

حتى إنَّ النبي ﷺ قد صحَّ أنَّه قال في شأنهم: ((ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ اللهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ:

وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَعْ إِلَى اللَّهُ اللَّهُ يَعْلِهِ مِنْهَا لَمْ يَعْلِ)).

_ وعند الكثير مِن الشَّباب والشَّابات المُغرَّر بِهم مِن قِبَل أهل الإنتمائات الحزبية، ودعاة البدع والضَّلال، وأهل التغريب.

وذلك بالضّرب لهُم خداعًا على وتر الاقتصاد والوظائف والظلم والجَور والديمقر اطية والحُريّة والمَلكية الدستورية.

وكتب التاريخ والسِّير شاهدة على جميع من تقدَّم وأضرابهم بأنَّهم قد تركوا العمل بهذا الأصل، ناهيك عن تقريره.

وواقعنا المُعاصر أيضًا شاهد عليهم.

فإنَّه لمَّا حصل في أيَّامنا هذه ما أسموه باطلًا «بالرَّبيع العربي»، وقامت الاعتصامات والاضرابات، ثم خرَجت المظاهرات والمسيرات، وأعقبتها الثورات والسِّلاح:

رأينا هذه الكثرة في ترْك العمل بهذا الأصل _ كما ذكر المُصنِّف _ رحمه الله _، ورأينا سَعْي هؤلاء القوم المذكورين جميعًا والفضائيات والإذاعات ومواقع الإنرنت وبرامج التواصل في نقض هذا الأصل، وترْك العمل بِه، وإشعال فتنته، وتحريض الناس عليه، وسوق الدَّهماء إليه.

حتى رأينا بسبب ذلك:

آلاف القتلى والجَرحى، ورجوع اقتصاد وأمن البلدان إلى الخلف وعن السابق بعشرات المرَّات، وتدمير المُدُن والقُرى بمنازلها وطُرقها ومراكبها ومتاجرها، وانقسام البلد إلى حكومتين أو ثلاث بعد أن كانت واحدة، وتشرُّد السُّكان ونُزوحهم بالملايين إلى بلدان أُخْرى بعد أنْ كانوا في أرضهم وبيوتهم آمِنين، وفي أرزاقهم ساعين، وإلى وظائفهم ذاهبين.

ثمَّ قال الإمام محد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _:

[الأصل الرابع: (١)

بيان العلم (٢) والعلماء (٣)، والفقه (٤) والفقهاء (٥)، وبيان مَن تشبّه بيان العلم (٢) وليس مِنهم. (٧)

وقد بيَّن الله تعالى هذا الأصل في أوَّل سورة "البقرة" مِن قوله تعالى:

{ يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } إلى قوله قبل ذِكر إبراهيم _ عليه السلام _: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } الآية. (^)

ویزیده وضوحًا (۹):

ما صرَّحت بِه السُّنة في هذا الكلام الكثير البيِّن الواضح للعامِّي البَليد. (١٠)

ثم صار هذا أغرب الأشياء. (١١)

وصَار العلم والفقه هو: البدع والضَّلالات. (١٢)

وخِيار ما عندَهم: لبس الحق بالباطل. (١٣)

وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدَحه لا يَتفوَّه بِه إلا زنديقٌ أو مجنون. (١٤)

وصار من أنكره وعاداه وصنّف في التحذير منه والنّهي عنه هو: الفقيه العالم. (١٠)]

الشرح:

(١) هذا الأصل - وهو الرابع - يَتعلَّق:

العلم والفقه الشرعي المَبنِي على قال الله تعالى، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، وقال الصحابة _ رضى الله عنهم _.

٢ ـ وبأهل هذا العلم والفقه.

وأهل هذا العلم والفقه هُم: «العلما والفقهاء السائرون قولًا وعملًا واعتقادًا ودعوة وإفتاء ومنهجًا على طريقة السَّلف الصالح مِن الصحابة والتابعين فمَن بعدَهم».

علمه و فقهه كمَبنَى علمهم و فقههم.

كأنْ يكون مِن: «أهل البدع والأهواء المُضِلَّة، أو ضعيف العلم والفقه، أو مِن الوُعاظ والقُصاص والخطباء، أو جمع هذه الأشياء كلها».

فإذا عرَف الناس الفرق بين هاتين الطائفتين، وميَّزوا بين ما تُقرِّره وتدعوا الله كل طائفة.

وعرَفوا مَن هو الذي يُؤخذ عنه العلم والفقه الشرعي في العقائد والعبادات والمُعاملات والآداب، ويُرجع إليه في النَّوازل الخاصَّة والعامَّة، مِمَّن لا يُؤخذ عنه العلم، ولا يُرجع إليه في النَّوازل، ولا يُستَفتَى، وطبَّقوا ذلك على أنفسهم حقيقة وصدْقًا، لا ادِّعاء وتمويهًا:

- سلِمت لهم الأصول الثلاثة المُتقدِّمة وغيرها مِن الجهل والتلبيس، والشُّبه والضَّلال، والتحريف والانحراف، والفتن والشُّرور، وفساد الدِّين والدُّنيا.

- وبقوا على ما كان عليه النبي على وأصحابه - رضي الله عنهم - عقيدة وشريعة ومنهاجًا، وفي هذه الأصول السِّتة، وغيرها

- ولم يَنخرطوا مع فِرَق وأحزاب وجماعات وتنظيمات أهل البدع والأهواء، ومذاهب الإلحاد والتغريب.

ولِهذا فمناسب جدًا:

أنْ يأتي المُصنِّف _ رحمه الله _ بهذا الأصل بعد الأصول الثلاثة المُتقدِّمة.

وقد كان الأصل الثالث يتعلَق: بأمَّة الإسلام، واجتماع أهلها في الدُّنيا، بائتلاف قلوبهم، وتوحُّد صُفوفهم، واجتماع كلمتهم، وعُلو قوَّتهم في الأرض.

ويتحق ذلك لهم كما تقدَّم: بإعطاء حاكمهم وسلطانهم الذي يجتمعون عليه حقَّه الوارد في نصوص الشريعة مِن السمع والطاعة في المعروف، والصبر على جوره واستئثاره، وترثك الخروج عليه، وغير ذلك.

وكان الأصل الثاني يتعلَّق: بحق دِين الإسلام على الأُمَّة، وهو أنْ يجتمعوا عليه، ولا يتفرَّقوا فيه.

وكان الأصل الأوّل يتعلّق: بحق الله تعالى على العباد، وهو: «أَنْ يَعبدوه ولا يُشركوا بِه شيئًا».

حيث بيَّن المُصنِّف _ رحمه الله _ في هذه الرسالة:

الدّين ووجوب إقامته أوَّلًا، ثم وجوب الاجتماع عليه ثانيًا، ثم وجوب القيام بالحق الذي يُوحِد صفوف المسلمين ويُقويهم ويجمع كلمتهم في الدُّنيا، وهو حق الحاكم ثالثًا، ثم العلماء والفقهاء الذين يُؤخذ عنهم هذا الدّين، ويُرجع إليهم في عقائده وأحكامه ومعاملاته وآدابه رابعًا.

وبسبب عدم معرفة هذا الأصل، وضبطه وفق شريعة الله، وسبيل السلف الصالح:

ضل الناس في الأصل الأوَّل فأشركوا غير الله مع الله في عبادته.

وضلوا في الأصل الثاني فاجتمعوا على البدع والأهواء والضّلالات والفِرَق والأحزاب والجماعات والطُّرق الصوفية وشيوخها ورمُوزها ودعاتها، وتعاضدوا عليها ومعهم.

وضلوا في الأصل الثالث فخرجوا على حكامهم المسلمين، وشقوا عصا الطاعة، وفرَّقوا جماعة وكلمة المسلمين، وأحدثوا القتل والاقتتال في بلادهم وبينهم.

(٢) العلم المُراد هُنا هو:

العلم بقال الله تعالى، وقال رسول الله ، وقال الصحابة _ رضي الله عنهم _ . وما فهموه مِن نُصوص القرآن والسُّنة النَّبوية.

فخرج بذلك:

1 - ما يُسمَّى: «بعلم الكلام»، لأنَّ أساسه مأخوذ عن فلاسفة أهل الكفر مِن اليُونان، وغير هم، ومبْنَاه على عقول بعض البشر.

٢ - وما يُسمَّى في هذا العصر: «بالفكر الإسلامي»، لأنَّ مَبنَى الفِكر على العقل والرَّ أي، ودِين الإسلام ليس مجموعة أفكار، وإنَّما هو وحَي مُنزَّل،
 قال الله تعالى، وقال رسوله ﷺ.

حيث قال الله سبحانه في شأن ما جاء به رسوله ﷺ: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى }.

وصحَّ أنَّ حسَّان بن عطيَّة تلميذ الصحابة _ رحمه الله _ قال: ((كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيّ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ)).

وقال الله سبحانه آمِرًا نساء النبي ﷺ: { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بِيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ }.

والحِكمَةُ هُنا هيَ: «سُنَّةُ وأحاديثُ النبيِّ ﷺ الصَّحيحَة»، كما قالَ علماءُ التفسيرِ والفقهِ والحديثِ والأصولِ، وغير هم.

(٣) المُراد بالعلماء هُنا:

العلماء القائمون بالكتاب والسُّنة النَّبوية قولًا وعملًا واعتقادًا ومنهجًا ودعوة وإفتاء، وتابعوا السَّلف الصالح مِن أهل القرون الأولى في ذلك.

وهُم يَتفاوتون ويَتفاضلون بحسب كثرة علمهم وفقههم بآيات القرآن وأحاديث النبي على قولية وفعلية وتقريرية.

ومَن كان كذلك فهو مِن أئمة الهُدَى، ودُعاة الحق المُقتدى بِهم، لِسلامة طريقتهم وأصولهم في العلم، وتعليمه ونشره، والعمل بِه.

١ - وقد أمر الله بالرُّجوع إليهم لِمعرفة أحكام شريعته، فقال سبحانه: {
 فَاسنْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.

٢ - وقال الله - جلَّ وعلا - في بيان عظيم فضلِهم، وصحَّة طريقهم،
 والترغيب في مُتابعتهم: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا }.

٣ ـ وقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مُرهبًا مِن ترْك سبيلهم، والخروج عمَّا كانوا عليه مِن العلم والعمل: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى عَلَيه مِن العلم والعمل: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ثُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَثَمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }.

وكانت أوَّل كلمة قالها إمام أهل السُّنة أحمد بن حنبل ــ رحمه الله في رسالته المشهورة "بأصول السُّنة":

«أصنول السنة عندنا: التَّمسُّك بِما كان عليه أصحاب رسول الله ، والاقتداء بِهم، وترْك البدع، وكل بِدعة فهي ضلالة». اهـ

فخرج بذلك:

علماء أهل البدع والضَّلال، لأنَّهم لا يَسيرون على طريق السَّلف الصالح اعتقادًا ومنهجًا ودعوة وقولًا وعملًا.

وهُم بذلك دُعاة ضلالة، وأهل غواية، ولا يُقتدَى بِهم، لانحراف طريقتهم وأصولهم في العلم وتعليمه ونشره والعمل بِه.

وقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ حذَّر أُمَّته مِنهم، فقال ﷺ: ((إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اللَّهُ الْأَئِمَةُ الْمُضِلِّينَ)).

والأئمة المُضِلون، هُم:

الدُّعاةُ إلى البدع والضَّلالات والفِسق والفُجور عن طريق تحريفِ نصوص شريعة الله، والكذبِ على العلم والعلماء، والقولِ في دِين الله بالهوى وليس الأدلة، وبالتلبيسِ والتدليس في أحكام شريعة الله.

وقد صحَّ أنَّ حُذيفة _ رضي الله عنه _ سأل النبي على عنهم، فقال: ((قُلْت: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرِّ؟ فَقَالَ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إليْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»)).

وجعلَهم النبي على أبواب جهنم، لأنَّ البدعُ والضَّلالات والفسقَ والفُجورَ لا تقود إلا إلى النَّار.

(٤) الفقه هو:

الفَهُم عن الله في آيات كتابه القرآن، وعن رسوله على أحاديثه.

(٥) الفقهاء هُم:

مَن يستنبط الفقه ويأخذ أحكام الشريعة مِن نصوص القرآن والسُّنة النَّبوية.

فخرج بقول المُصنَّف _ رحمه الله _: «الفقه والفقهاء»:

التقليد والمُقلِّدة.

_ لأنَّ التقليد ليس بعلم، لأنَّه: «أَخْذُ قول الغير بدُون حُجَّة».

_ ولأنَّ المُقلِد: ليس بعالم بإجماع العلماء، وقد حكاه عنهم الحافظ ابن عبد البَر المالكي _ رحمه الله _ وغيره، كما سيأتي قريبًا.

(٦) وجه تشبُّههم بالعلماء:

- أنَّهم قد ظهروا في الناس بلباس العلماء والفقهاء وصورتهم وسمَّتِهم وشهاداتهم وإجازاتهم، وهُم ليسوا كذلك، لا في العلمية، ولا في الاعتقاد، ولا في المنهج، ولا في العمل، ولا في السلوك، ولا في الدَّعوة.

_ وأصبَحوا يتصدَّرون في باب العلم والفقه، بالكلام في أحكام الدِّين، والإفتاء في المسائل الشَّرعية، والخوض في النَّوازل.

_ ورُبَّما نُصِب بعضهم مُفتيًا، أو قاضيًا، أو رئيسًا لِمركز إسلامي، أو داعية، أو خطيبًا، أو مُعلِّمًا لِعلوم شرعيَّة في جامعة أو معهد أو غير هما، أو عضوًا في هيئة باسم شرعي.

وحقيقة أمر من هذا حاله:

أنَّه ضعيف العلم، قد خلَد إلى التقليد، همَّه الدَّعوة إلى اتِّباع مذهب إمامه أو المُتأخِّرين مِن أهل مذهبه، وإلى اعتقاد فرقته الضَّالة، وطريقته الصوفية، وحِزبِه وجماعته وتنظيمه، واشتهار شخصِه وحِزبه في الناس.

وليس بداعٍ إلى الله، وإلى دِينه الذي كان عليه النبي على وأصحابه _ رضي الله عنهم _.

ولا هو داخل في قول الله تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسَبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }.

وقد ذَكر المُصنِّف _ رحمه الله _ في كتاب "التوحيد" أنَّ في قوله تعالى { أَدْعُو إِلَى اللهِ }:

«التنبيه: على الإخلاص، لأنَّ كثيرًا مِن الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه».اهـ

وداخل في قول النبي على الصَّحيح: ((المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ وَداخل في قول النبي الله الصَّحيح: ((المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ أَنْ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

والمُتشبّع هو: «المُتزَين في الناس بأكثر مِمّا عنده، وما هو عليه مِن حال وواقع».

حتى إنَّه قد يَتزَين بقولِ غير الحق في مسائل شرعية عديدة ليَشتهِر، أو مُجاملة، أو لِئلًّا يُنتقد.

(V) هذا الكلام مِن المُصنِّف _ رحمه الله _ فيه بيان سبب ذِكر هذا الأصل. والسَّبب هو:

أنَّه قد اختلط على عوام الناس أو أكثر هم العلماء بغير العلماء، ولم يَتميَّز لهم الفقيه الراسخ مِن غيره.

- فأصبحوا يُلبِسون مَن يُسمَّون بالمُفكِّرين الإسلاميين أو الأُدباء الإسلاميين أو القُصاص لِباس العلماء والفقهاء.

- وأصبحوا يُطلِقون اسم العالم على الواعظ والداعية والقصاص، ويظنون أنَّه عالم وفقيه، ويرجعون إليه في الفتوى والنوازل.

لأنَّ سِحر البيان وجزَ الة الوعظ مِن المُتكلِّمين، وضَعف العلم، والابتعاد عن العلماء الراسخين الأثبات، وولوج الجزبيات، والتأثر برُموز الفِرَق والطُّرق الصوفية والجماعات أسقطتهم في هذا الاختلاط، وخدعتهم بِه، وجرَّتهم إليه.

— بل أصبح بعض من ينتسب للعلم لِعدم التدقيق أو التعجُّل عند التزكية والسؤال أو حُسن الظن يُطلق لفظ العالم والعلامة على من هو طالب علم وليس بعالم أبدًا ويَقينًا، ولم تُوجد له آثار علمية مُختلفة تدُل على كونه علامة ومِن العلماء، ولا سَبر هذا المُطلِق آثار المُزكَّى العلمية لتُطابق التزكية واقعه، وتكون شاهد حق وعدل عليه وفيه.

حتى إذا رُدَّت الأخطاء الكثيرة لِهذا المُزكَّى بعالم وعلامة، أُشهِرت في وجْه الرَّاد لَها:

هذه التزكيات، أو المناصب العلمية أو الشهادات والإجازات.

(۸) حيث:

١ جاء في هذه الآيات قول الله _ عزَّ وجلَّ _: { وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَقُونِ }.
 فَاتَقُونِ }.

فنَهَى الله سبحانه في هذه الاية:

مَن عنده علم أنْ يَكفُر بالحق الذي علِمه مِن شريعة الله، وأنْ يَبيعَه بالمال والجَاه والشُّهرة والمناصب.

وهذا _ مع الأسف الشديد _ حال الكثير مِمَّن انتسَب إلى العلم والفقه والعلماء والفقهاء، وهُم ليسوا كذلك، لأنَّهم ما بين علماء بدعة وضلالة وأهواء، ومَن ليسوا بعلماء، ولا طلاب علم أقوياء.

حيث أصبحوا يَردُّون الكثير مِن مسائل الاعتقاد والسُّنة والعبادات والمُعاملات وأدلتها الشرعية بالباطل، والعقل، والرِّجال، والشُّبَه، والحِيَل، والتلبيس والتدليس، والتقليد، والمذهب.

٢ - وجاء في هذه الآيات أيضًا قول الله - جلّ وعلا -: { وَلَا تُلْبِسُوا الْحَقّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }.

فنَهى الله سبحانه في هذه الاية:

مَن عنده عِلم أَنْ يَخلِط ويَمزُج الحق الذي علِمه مِن شريعة الله بالباطل، وأَنْ يَكتُم الحق ويَسكت عن بيانه عند الحاجة إليه.

وهذا هو حال علماء ودُعاة أهل البدع والضَّلال والأهواء.

حيث لبَّسوا على الناس في كثير مِن المسائل الشرعية في باب الاعتقاد والسُّنة والعبادات والمُعاملات وغير ها بأنواع عديدة مِن الشُّبَه والحِيَل والعقليات.

حتى وصل الحال بأتباعهم والمُتأثرين بِهم إلى اعتقاد كثير مِن الشِّركيَّات توحيدًا، وكثير مِن البدع سُنَنًا، وكثير مِن المُحرَّ مات حلالًا، والحق باطلًا، والباطل حقًّا، وأهل التوحيد والسُّنة أهل باطل وضلال وأعداء وبراء، وأهل الشِّرك والبدعة أهل حق و هُدى ومحبَّة وأخِلاء.

ومَن لَبَس الحق بالباطل، فقد أظهر الباطل في صورة الحق، وأبعد الناس عن الحق، ودعاهم إلى الباطل.

والواجب عليهم هو:

بيان الحق كما دلَّت عليه نصوص الشريعة، وفهمَه مِنها السَّلف الصالح، فيُقال هذا حق، وهذا باطل، وهذا شِرك، وهذا توحيد، وهذه بدعة، وهذه سئنَّة، وهذا حرام ومعصية، وهذا حلال ومُباح.

وسبب لبسبهم الحق بالباطل، وكتمانهم للحق:

— أنَّ للبس والكتم يُغطِّيان عن الناس حقيقتهم، وأنَّهم مُنحرَفون عن الحق وضئلَّال.

- ويَجُرَّان الخلق إلى ضلالاتهم الباطلة:

١ - بسبب ذِكر شيء مِن الحق معها تمويهًا.

٢ - وبسبب كتمهم للحق عند وجوب بيانه، إذ سيقول الناس: لو كان هذا هو الحق لبيّنوه لنا، ولَمَا سكتوا عن بيانه.

وهذه الخِصلة مِن أقبح خصال أهل الكتاب، وفاعلها مِن هذه الأُمَّة مُتشبِّه بِهم، حيث قال الله سبحانه عنهم مُرهِّبًا: { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }.

(٩) أي: ويزيد هذا الأصل الرابع وضوحًا ما ورَد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تقريره، وما جاء عنه فيه مِن أحاديث مُتعدِّدة.

(١٠) مِن دلائل هذه الكثرة:

أوَّلًا _ أنَّ السُّنة النَّبوية المُحمَّدية الثابتة قد بيَّنت للناس:

أنَّ مَدار معرفة العالم الثقة الثبت، ومعرفة رُسوخه في العلم، مَبْنِيُّ على أخذه مِن القرآن والسُّنة النَّبوية، ومُتابعته لهُما، وتضلُّعه في فقههما، وإفتائه بهما، وكلما ازداد فيهما ومِنهما زاد علمًا.

حيث ثبت أنَّ النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ عُورِ ثُفُ الْأَنْبِيَاء، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّ ثُوا دِيثَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافْرٍ)).

وميراث الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ هو الوحْي، والوحْي الذي جاء به رسول الله محمد على هو القرآن والسُّنة.

ثانيًا _ أنَّ السُّنة النَّبوية المُحمَّدية الثابتة قد بيَّنت للناس:

أنَّ التفقه في الدِّين بمعرفة أدلته الشرعية، وفهم ما جاء فيها مِن مسائل وأحكام سبيل مَن أراد الله بِهم الخير مِن الناس.

حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُ فِي الدِّينِ)).

ثالثًا _ أنَّ السُّنة النَّبوية المُحمَّدية الثابتة قد فرَّقت:

بين العالم الفقيه وبين العابد غير الفقيه في الفضل والمنزلة، وميَّزت بينهما في المعنى، حتى يَرغَب الناس في العلم، ويُقبِلوا على العلماء، ويأخذوا الأحكام الشرعية عن العلماء، وليس عن العُبَّاد وأشباههم.

حيث ثبت أنَّ النبي عَلَى الْقَمَرِ الْفَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَصْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَصْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْبَدْرِ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى الْجِيتَانُ فِي جَوْفٍ مِنَ الْمَاعِ)).

رابعًا _ أنَّ السُّنة النَّبوية المُحمَّدية الثابتة قد حذَّرت:

مِن أَخْذ العلم عن الرُؤوس الجُهال الذين يُفتون الناس بغير دليلٍ مِن الشريعة لِيُجتَنبوا، لأنَّهم يُضِلون الناس عن دِين الله الصَّحيح.

حيث صح أنَّ النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلْمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)).

خامسًا _ أنَّ السُّنة النَّبوية المُحمَّدية الثابتة قد خوَّفت الناس:

مِن تلَقِّي العلم وأخْذ الفتوى عن علماء ودعاة أهل البدع والأهواء الذين يتكلمون في دِين الله بالهوى والعقل، وليس بالأدلة الشرعية، وبالتلبيس والتدليس في معاني أدِلَة الشريعة، ولَبْس الحق بالباطل، وذمَّتهم وجرَحَتهم بجعلهم أئمَّة مُضِلِّين للنَّاس.

حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال مُرهِّبًا لَنَا: ((إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا الْأَئِمَّةُ الْمُضِلِّينَ)).

وبجعلهم دُعاة إلى النَّار والعذاب فيها، حيث صحَّ أنَّ حُذيفة _ رضي الله عنه _ سأل النبي عنهم، فقال: ((قُلْت: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرِّ؟ فَقَالَ عنه _ سأل النبي عَنْ عَنهم، فقال: ((قُلْت: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرِّ؟ فَقَالَ عَنه _ سأل النبي عَنْ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إلْيْهَا قَدَفُوهُ فِيهَا هُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنْتِنَا»)).

سادسًا _ أنَّ السُّنة النَّبوية المُحمَّدية الثابتة قد أرْشَدَت:

إلى العالم الذي يُرَى عليه العمل بنصوص الشريعة، وتظهر أحكامها في هديه وسمته وقوله وفعله، ومُختلف أحواله، وأنّه العالم بحق، والأهل أنْ يُؤخذ عنه العلم، ويُرجع إليه، ويُقتدى به.

فصح أنَّ النبي ﷺ قال: ((وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي)).

ومصداق ذلك في القرآن:

١ - قول الله سبحانه: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }.

٢ - وقول الله - جلَّ وعلا - في ذَمِّ علماء بَنِي إسرائيل: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }.

٣ - وقول الله تعالى مُرهِبًا لنَا: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
 كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }.

وجاء في مُقدِّمة "صحيح مسلم"، عن تلميذ الصحابة التابعي الجليل محمد بن سيرين _ رحمه الله _ أنَّه قال:

((إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ)).

وصحَّ عن ابن مسعود _ رضي الله عنه _ أنَّه قال: ((كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ)).

وثبت عن الإمام سفيان الثوري _ رحمه الله _ أنَّه قال: ((إِنَّمَا يُتَعَلَّمُ الْعِلْمُ لِيُتَقَى الله _ غَرَّ وَجَلَّ _ بِهِ لِيُتَقَى الله له وَإِنَّمَا فُضِّلَ الْعِلْمُ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ يُتَقَى الله _ عَرَّ وَجَلَّ _ بِهِ)).

وثبت عن جمع مِن أئمة الحديث والفقه الأوائل _ رحمهم الله _ هذا القول:

((مَا بَلَغَنِي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيْثٌ قَطُّ إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ وَلَوْ مَرَّةً)).

(١١) أي صار العلم والفقه المَبني على قال الله، قال رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الصحابة، والمأخوذ على فهم السَّلف الصالح، وسواء كان في باب الاعتقاد، أو الفقه، أو السُّنن والبدع، أوغيرهما، هو:

العلم والفقه الغريب الذي يُدرِّسُه ويُفتِي بِه أقل العلماء، ويَعمل بِه أقل الناس، ويَدرُسُه أقل الطلاب.

ومصداق ذلك مِن السُّنة النَّبوية:

١ ـ قول النبي ﷺ الصّحيح: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الْجَمَاعَةُ»)).

وفي لفظ آخَر قد نصَّ على ثُبوتِه جمعٌ مِن العلماء: ((«وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي الثَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»)).

٢ - وقول النبي ﷺ الصَّحيح: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّ هُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ
)).

٣ - وقول النبي ﷺ الصحيح: ((بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ عَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)).

وثبت أنَّه قيل للنبي ﷺ في تأكيد قِلَّتِهم: ((وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنَ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ)).

والنَّازِعُ هو: «الغريب الذي بعد وغاب عن أهله وعشيرته».

ويُؤكد ذلك مِن القرآن:

١ ـ قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ }.

٢ - وقول الله - تبارَك و تقدس - عن إبليس: {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهمْ وَعَنْ أَيْمَانِهمْ وَعَنْ شَهَائِلِهمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَهَاكِرِينَ }.

(١٢) أي صار العلم والفقه الذي يُدرَّس ويُفتَى بِه ويُقبِل الناس على أخذه وتَعمل به العامَّة والخاصَّة هو:

العلم المأخوذ عن أهل البدع والأهواء، المشوب بكثير مِن البدع والضّلالات في باب الاعتقاد، وباب الفقه مِن عبادات ومُعاملات، وأبواب الأخلاق والآداب والفضائل والأذكار، وغيرها.

حتى وصل الأمر بأهل البدع والأهواء إلى الاستدلالات الباطلة في:

- تجويز الشركيات، وتقرير أنَّها توحيد.

_ وتجويز البدع وأنَّها سُنن.

وإذا تُركت البدعة قالوا: تُركت السُّنة، وإذا أُقيمت السُّنة أُنكروها.

وأصبح أهل الحق والسُّنة أتباع السَّلف الصالح في قلَّة شديد، وغُربة عظيمة:

مع عملهم بما كان عليه النبي الله وأصحابه _ رضي الله عنهم _ وباقي السَّلف الصالح، ومُتابعتهم على ما كانوا عليه مِن القول والعمل والاعتقاد والعلم والدَّعوة.

وقد صحَّ أنَّ النبي على قال: ((بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)).

وثبت أنَّه قيل للنبي على: ((وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ)).

(١٣) أي أنَّ أقوى ما عند علماء ودُعاة أهل البدع والأهواء مِن الاستدلال على تجويز ما هُم عليه مِن شركيات وبدع وضلالات، وإغراقهم بها البلدان، وإضلالهم الناس بها، إنَّما هو:

لَبْس وخَلْط الحق بالباطل، كفعل أهل الكتاب مِن اليهود، وغير هم.

حيث يَنشرون الباطل مِن شِرْك أو بدعة أو انحراف على أنَّه حق، أو مشروع أو جائز:

- بأدلَّة شرعيِّة صحيحة وحقَّه، حرَّفوا معانيها، وصرَفوا الاستدلال بها إلى غير وجهتها الصَّحيحة، ومسارها الشرعي الحق الذي تدُل عليه.

— أو أدلة هي في ميزان العلم الصَّحيح ضعيفة، أو باطلة، أو لا أصل لَها، أو مكذوبة.

_ أو عقليَّاتٍ وآراء وقياسات فاسدة أنزَلوها منزلة الأدلة الشرعية أو أعظم.

- أو أقوالٍ للعلماء قد كذبوا في نسبتها إليهم، أو في مُراد قائليها مِنها، أو هي ضعيف السَّند إليهم.

وهُم بهذا قد شابهوا اليهود الذين ذمَّهم الله ووبَّخهم بقوله سبحانه: { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }.

وقال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في "تفسيره" (ص: ١٣٤-١٣٥)، عند هذه الآية:

«فوبَّخَهم على لبس الحق بالباطل، وعلى كِتمان الحق، لأنَّهم بهذين الأمرين يُضِلون مَن انتسب إليهم.

فإنَّ العلماء إذا لبَسوا الحق بالباطل، فلم يُميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مُبْهَمًا، وكتَموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره، ترتَّب على ذلك مِن خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتَّب، ولم يَهتد العوام الذين يريدون الحق لِمعرفته حتى يُؤثروه.

والمقصود مِن أهل العلم: أنْ يظهروا الناس الحق، ويُعلنوا به، ويَميزوا الحق مِن الباطل، ويُظهِروا الخبيث مِن الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصَّحيحة مِن العقائد الفاسدة، لِيهتدي المُهتدون، ويَرجع الضَّالون، وتقوم الحُجَّة على المُعاندين، قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّئُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُنْسَ مَا يَشْتَرُونَ } ..اهـ

(١٤) أي أصبح أهل العلم المَبني على قال الله، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، وقال الصحابة، وعلى فهم السَّلف الصالح ـ والذي هو الواجب شرعًا، والمَمدوح مِن الله ورسوله ـ، عند هؤلاء القوم مِن علماء ودُعاة أهل البدع والأهواء وأتباعهم:

مَحَل نَبْزٍ وذَمٍّ وطعن، لِيَنفر الناس عنهم، ويَتركوا أخذ العلم الحق مِنهم.

لأنَّ الناس إذا سمعوا لأهل العلم الحق الموافق للسُّنة والسَّلف، وأخذوه عنهم، انكشف عنهم زيف أهل البدع والأهواء، وظهر لهم زيغهم، وانكشف باطلهم، وعُرفَت حقيقتهم، واجتُنبوا.

وقد تختلِف الطعون التنفيرية، والألفاظ المُشوِّهة لأهل الحق مِن وقت لآخَر، ومِن قوم لآخَرين.

حيث تسمع مِن أهل البدع والأهواء أو تقرأ لهم مِثل هذه العبارات في حق أهل العلم الحق:

«زنادقة، حشوية، مجسمة، وهابية، يُنكرون المذاهب الأربعة، علماء حيض ونفاس، لا يفقهون الواقع، علماء سلطة، يُبغِضون النبي ﷺ، يَنتقصون الأولياء، كل شيء عندهم بدعة».

وغير ذلك.

(١٥) أي صار مَن أنكر وذَم هذا النوع مِن العلم الحق الصَّحيح عند علماء ودُعاة أهل البدع والأهواء، وأنكر وذَم فهمَه على طريقة السَّلف الصالح، وعاداه وعادى أهله مِن أهل العلم وطلابه المُستقيمين على السُّنة وطريق السَّلف الصالح، وصنَّف في التحذير مِنه ومِن علمائه وطلابه ودعاته، والنَّهي عنه وعن عُلمائه وطلابه ودُعاته هو:

الفقيه العالم الذي يُؤخذ عنه العلم، ويُجلَس إليه، وتُقبل فتواه، ويُعظَّم ويُوقَّر، ويُتنى عليه، ويُقلَّد منصب الافتاء والقضاء والمشيخة والتدريس والإمامة والخطابة.

ثمَّ قال الإمام محد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _:

[الأصل الخامس: (١)

بيانُ الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقِه بينَهم وبين المُتشبِّهين بِهم مِن أعداء الله والمنافقين والفُجَّار. (٢)

ويكفي في هذا آية (٣) في سورة "آل عمران"، وهي قوله: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجِبُّونَ اللهَ فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ } الآية. (٤)

وآية (٣) في سورة "المائدة"، وهي قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } الآية. (٥)

وآية (٣) في سورة يونس، وهي قوله: { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْف عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَاثُوا يَتَّقُونَ }. (٦)

ثم صار الأمر عند أكثر من يدَّعِي العلم، وأنَّه مِن هُداة الخلق، وحُقاظ الشرع (٧):

إلى أنَّ أولياء الله لا بُدَّ فيهم: (٨)

مِن ترْك اتِّباع الرُّسل، ومَن تَبعَهم فليس مِنهم.

ولابُد مِن ترْك الجهاد، فمن جاهد فليس مِنهم.

ولابُد مِن ترْك الإيمان والتقوى، فمَن تعهَّد بالإيمان والتقوى فليس مِنهم.

يا ربَّنا نسألك العفو والعافية، إنَّك سميع الدُّعاء.]

(١) أهمية ذِكر هذا الأصل - وهو الخامس - ترجع إلى:

أنَّه قد ضَلَ فيه كثير مِن النَّاس، وكانت عدم معرفته جيدًا، وضبط حدوده ومعناه وفق نصوص الشريعة مُوقِعًا لهم في الشِّرك بالله، والبدع، وكبائر الذُّنوب.

وقد استدعت خطورة هذا الأمر، وعُموم البلوى بِه، الإمام ابن تيمية _ رحمه الله _ إلى تأليف كتاب بعنوان:

«الفُرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان».

ومِن المُناسب جدًّا إيراد هذا الأصل الخامس مع بقيَّة الأصول، وما تقدَّمه مِن أصول أربعة.

حيث كان الأصل الرابع: عن تمييز العلم والفقه الصَّحيح وأهله مِمَّن لا يدخل فيه، ولا في أهله، لأنَّه قد التبس غير هذا العلم وأهله على كثير مِن الناس، فأدخلوا علوم أهل البدع والأهواء وأهلها والدُّعاة والقُصَّاص والوعاظ فيه، وفيهم، وأصبحوا مرجعَهم في أحكام الشريعة والإفتاء والنَّوازل، وأصبح كلامهم هو العلم والفقه الصَّحيح المقبول.

وكان الأصل الثالث يتعلَّق: بأُمَّة الإسلام، واجتماع كلمة أهلها في الدُّنيا، وتوحُّد صفوفهم، وائتلاف قلوبهم، بإعطاء حاكمهم الذي يجتمعون عليه حقَّه الوارد في نصوص الشريعة مِن السمع والطاعة له في المعروف.

وكان الأصل الثاني يتعلَّق: بحق دِين الإسلام على أهله، وهو أنْ يجتمعوا عليه، ولا يتفرَّقوا فيه.

وكان الأصل الأوّل يتعلّق: بحق الله تعالى على العِباد، وهو: «أَنْ يَعبدوه ولا يُشركوا بِه شيئًا».

ثم جاء هذا الأصل الخامس، وهو يتعلق: بمعرفة أولياء الله المُتقين مِمَّن أَلْبِسَ لِباسنَهم زُورًا، ووتدليسًا، وإضلالًا للناس.

وبسبب عدم معرفة هذا الأصل، وضبطه وفق شريعة الله، وسبيل السلف الصالح:

ضل الناس في الأصل الأوَّل فأشركوا غير الله مع الله في عبادته، وضلوا في الأصل الثاني فاجتمعوا على البدع والأهواء والضَّلالات، وتعاضدوا عليها، وضلوا في الأصل الرابع باجتماعهم على فِرَقِهم وأحزابهم وجماعاتهم وطُرقِهم الصوفية، وإعطائهم بيعتهم وسمعَهم وطاعتهم لمرشِديها وشيوخها، مع أنَّ البيعة والسمع والطاعة في الشريعة حق للحاكم وحدَه.

فبيَّن المُصنَّف _ رحمه الله _ في هذه الرسالة:

المعنى الصتّحيح للدّين ووجوب إقامته أوّلًا، ثم وجوب الاجتماع على هذا الدّين ثانيًا، ثم وجوب القيام بالحق الذي يُوجّد صفوف وكلمة أهل هذا الدّين في الدُّنيا ثالثًا، وهو حق الحاكم، ثم ربّع بحق العلم والعلماء بتمييز هما عمّن تشبّه بهما وهو لا يدخل فيهما، ليُؤخذ الحق عن أهله، ويُعبَد الله بالحق، وعلى بصيرة، ثمّ أتى بالأصل الخامس، وهو عن التفريق بين أولياء الله الصالحين ومَن تشبّه بِهم، حتى لا يَضِل الناس ويُضلّلوا عمّا سَبق مِن أصول باسم الأولياء والولاية، ومَحبّة الصالحين وشفاعتهم وجاههم ومنزلتهم الرّفيعة عند الله.

(٢) بيان وتبيين الله - جلّ وعلا - في كتابه القرآن، ورسوله في أحاديثه الثابتة لِهذا الأصل، بالتقريق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، وأهل الحق والسنّنة والعلم والهداية مِن المُتشبِّهين بِهم له أسباب عديدة، ومِن هذه الأسباب:

أوَّلًا _رحمة العِباد حتى لا يَقعوا فيما يُسخِط الله عليهم مِن شركيات وبدع وكبائر، بسبب الجهل، وشبئه أهل البدع والأهواء، وتلبيس أئمة الضَّلال.

١ - وقد قال الله سبحانه في وصنف نفسه: { إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفَ رَحِيمٌ

٢ - وقال الله - عز وجل - في شأن رسوله ﷺ: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَثِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِثِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }.

٣ - وقال الله - جلَّ وعلا -: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }.

٢ ـ وصحَّ أنَّ النبي على قال: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)).

ثانيًا _ إقامة الحُجَّة على الخلق لِئلا يَعتذروا لأنفسهم ويَحتَجوا على ضلالهم ومُخالفتهم للشريعة بالباطل.

١ - وقد قال الله سبحانه: { وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ
 لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ }.

٢ - وقال الله تعالى: { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
 حِسنابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

٣ - وقال الله - عزَّ وجلَّ -: { إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا
 مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنْبَئْكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }.

عُ وصح أَنَّ النبي ﷺ قال: ((قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنْهَارِهَا، لَا يَرْيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكُ)).

ثالثًا _ تميَّز الحق والسَّنة عن الباطل والضَّلال، وتمايز أهل الحق والسُّنة عن أهل البدع والأهواء الضُّلال، واتِّضاح علماء ودُعاة التوحيد والسُّنة أئمة الهدى مِن علماء ودُعاة البدع والأهواء الأئمة المُضِلِّين.

حتى لا يَلتَبِسوا ببعض، ولا يُصار إلى الأخذ عن أهل البدع والأهواء والضَّلال، ولا يُنجَر إلى فِرَقِهم وأحزابِهم وجماعاتهم وطُرقهم الصُّوفية، ولا يُفتَن بباطلهم وما هُم عليه مِن ضلال وإضلال، وتلبيس وزخرفة، وشُبَه وخداع.

رابعًا _ أنَّ أهل الإيمان قد يَدخل فيهم مَن ليس مِنهم، كالمُنافقين، وأهل العلم والسُّنة الرَّاسخين قد يَدخل فيهم مَن ليس مِنهم، كعلماء أهل البدع والأهواء، وضِعاف العلم والفقه، والحق قد يُدخل معه وفيه كثير مِن الباطل، مِن شركيات وبدع ومعاصي.

وهذا الدخول والإدخال يُوقع الكثيرين مِن النَّاس في الضَّلال والانحراف، ويروج بِسبَبه الباطل والضَّلال، ودُعاة البدع والأهواء.

بخلاف ما لو عُرِف أهل العلم الراسخين مِن غيرهم، وأهل التوحيد والسُّنة والطاعة مِن أهل الشِّرك والبدع والفساد والفُجور، وأولياء الله الصالحين مِن أولياء الشيطان، وعُرِفت صفاتهم، وما هو الواجب معهم، ومالُهم وعليهم شرعًا، فإنَّ ذلك يُضعِف انجرار الناس إلى الباطل، ودخولهم في صفوف أهله، وانخداعهم بأئمته ودُعاته.

١ - وقد قال الله - عزَّ وجلَّ -: { وَكَذَلِكَ تُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }.

٢ - وثبت أنَّ النبي ﷺ قال: ((مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُبَاعِدُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويبَاعِدُ مِنَ الْتَارِ، إلَّا وَقَدْ بُيِنَ لَكُمْ)).

(٣) هذا الكلام فيه:

دَلالة واضحة على اعتناء المُصنِّف _ رحمه الله _ بتقرير وإيضاح ما يَذكره ويُؤصِّله بأدلَّة الشريعة، وحُسن اتِّباعه، وسلوكه طريقة السَّلف الصالح في تبيين المسائل الشرعية.

وهذا هو الواجب شرعًا على أهل العلم والفقه والطاعة، وفيه الكفاية والمَقنع والراحة والاطمئنان لِمَن سَلِم قلبه مِن الشُّبَه والضَّلال.

ومَن لم يَكفِه قال الله سبحانه، وقال رسوله ﷺ، فلن يَكفيه غير هما.

(٤) هذه الآية الجليلة مِن سورة "آل عمران" قد سمَّاها بعض العلماء:

«آية المحنة»، يعني: الامتحان والاختبار للناس.

لأنَّها تَسد الباب على مَن ادَّعَى محبَّة النبي ﷺ وهو لا يَتَّبِعه، أو ضعيف الاتَّباع له.

وقد قال الحسن البصري _ رحمه الله _ وهو مِن التابعين الذين أدركوا الصحابة عند هذه الآية:

(({ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }، قَالَ: ﴿وَكَانَ عَلَامَةُ كُبِهِ إِنَّاهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾)). حُبِّهِ إِيَّاهُمُ اتِّبَاعَ سُنْتَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾)).

ومِن فوائد هذه الآية التي لأجلها ساقها المُصنِّف _ رحمه الله _:

أوَّلًا - أنَّ جميع الطُّرق التي يَرْعم أصحابها أنَّها تُوصِلهم إلى الله وإلى ولايته مسدودة لا تُوصِل إلى ذلك إلا هذا الطريق الواحد، وهو: اتَّباع رسول الله هي فيما جاء بِه مِن عند الله سبحانه، وفي القول والفِعل والتَّرْك.

والناس في هذا الاتباع يتفاوتون، ولكل واحد منهم منزلة بقدر اتباعه، وأسعد الناس وأعلاهم منزلة في الاتباع هُم أهل قال الله سبحانه، وقال رسوله عنه وقال الصحابة _ رضي الله عنهم _.

ولِهذا قال الخليل بن أحمد _ رحمه الله _:

«إنْ لم يكن أهل القرآن والحديث أولياء الله، فليس لله في الأرض ولِي». اهـ

وقال الإمام الشافعي _ رحمه الله _:

«إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياءَ الله فما لله وَلِيّ». اهـ

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ:

«إنْ لم يَكن أصحاب الحديث هُم الأبدال فمَن يكون؟».اهـ

وقال الفقيه أبو زكريا النَّووي الشافعي _ رحمه الله _:

«وعن الإمامين الجليلين أبى حنيفة والشافعي _ رحمهما الله _ قالا:

"إنْ لم يَكن العلماء أولياء الله فليس لله ولِي" > اهـ

ثانيًا _ أنَّ لِلمُتَّبع ثلاثة مكاسب: محبَّة الله له، وجعله مِن أوليائه بقدر اتِباعه، ومغفرته له.

وقد صحّ أنَّ النبي ﷺ قال في بيان أسباب نيل محبَّة الله، وجعل العبد مِن أولياء الله: ((إِنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ إِللَّهَ رَبِّ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَرْالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَرْالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَرْالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنْي لَأُعْطِينَةُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»)).

ثالثًا _ أنَّ مَن كان يُحب الله تعالى، ويُريد الولاية، فطريق حصول ذلك له واضح وبيّن في نصوص الشريعة.

حيث أرشده الله سبحانه لِطريق وشاهد محبَّته وولايته، وامتحَنه بِه، فقال عزَّ وجلَّ -: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ دُنُوبَكُمْ }.

وقال الإمام ابن تيمية _ رحمه الله _ كما في كتاب "جامع المسائل" (١/ ٩٧ _ طبعة: دار عالم الفوائد):

«ولهذا اتفق أولياء الله على أنَّ الرَّجل لو طار في الهواء أو مشَى على الماء لم يُعتَبر حتى يُنظر مُتابعتُه لأمر الله ونهيه». اهـ

(٥) هذه الآية مِن سورة "المائدة":

تصديق وتكميل وزيادة توضيح لآية سورة "آل عمران" التي قبلها في أنَّ محبَّة الله إنَّما تُنال بالاتِّباع لِرسوله ﷺ قولًا وفعلًا وترْكًا.

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله }.

لأنَّ الله _ جلَّ وعلا _ قد قال فيها: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ }.

فإذا كانت محبَّته _ عزَّ وجلَّ _ لِعبده لا تُنال إلا باتِباع الرسول ﷺ، فطريق الاتِباع هو سبيل الحصول على الولاية.

(١) هذه الآية مِن سورة "يونس":

{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْف عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }.

فيها بيان أولياء الله الصالحين، وعاقبتهم، وصفاتهم التي كان اتِّصافهم بِها سببَ جعلهم أولياء الله.

وقدَّم الله تعالى في هذه الآية ذِكر عاقبتهم على صفاتهم:

ليُر غَب في سُلوك طريقهم، ويُشمَّر إلى الاتِّصاف بصفاتهم التي أوصلتهم إلى هذا المنزلة العالية الرَّفيعة، منزلة الولاية.

وبيِّن الله سنبحانه في هذه الآية سبيل الحصول على الولاية، وأنْ يكون العبد وليًّا لله، وأنَّه:

تقوى الله _ عزَّ وجلَّ _ حق تُقاتِه.

والمُرادُ بتقوى اللهِ _ جلَّ وعزَّ _ على سبيل الإجمال:

«أَنْ يجعلَ العبدُ بينَهُ وبينَ غضنب ربِّهِ وسَخَطِهِ وعِقابِهِ وقايَةَ تَقِيهِ مِنه».

وتكونُ هذه الوقاية بشيئين:

الأوَّل: فِعل الطاعاتِ والقُرُبَاتِ والعبادات، عباداتِ القلبِ، وعباداتِ اللسانِ، وعباداتِ اللسانِ، وعباداتِ اللسانِ، وعباداتِ الجوارح.

الثاني: اجتناب الذُّنوبِ والسيئاتِ، سيئاتِ القلبِ، وسيئاتِ اللسانِ، وسيئاتِ السانِ، وسيئاتِ الجوارح.

وأمَّا على وجه التفصيل والبَسنط:

ا _ فتقوى الله تعالى تكون: «بلُزومِ التوحيدِ والسُّنة، واجتنابِ الشِّركِ والبِدَع».

٢ - وتكون: «بعبادة الله على وفق ما جاء في القرآن، والسُّنة النَّبويةِ الصَّحيحة، وما كان عليه السَّلفُ الصالح، وعلى رأسهم الصحابة - رضي الله عنهم -».

٣ ـ وتكونُ: «بِترْكِ الذُّنوبِ صغيرِ ها وكبيرِ ها».

وفي هذا المعنى يقولُ ابنُ المُعتَمِرِ:

«خَلِّ الذُّنوبَ صغيرَ ها وكبيرَ ها فهُوَ الثُّقَى ... واصنعْ كَماشٍ فوْقَ أَرْضِ الشَّوكِ يَحْذَرُ ما يَرَى ... لا تحقِرنَ صغيرةً ... إنَّ الجِبالَ مِن الجِصنى».

- ع وتكون: «بالإكثار من قراءة القرآن، ولنروم الدعاء، وكثرة التوبة والاستغفار، والمحافظة على الأذكار والأوراد المُتعلِّقة بالأوقات والأماكن والأحوال، والذِّكر المُطلَق لله تعالى في كلِّ حينٍ وحال».
 - _ وتكونُ: «بأنْ يَرَى اللهُ عبدَهُ حيثُ أمَرَه، ولا يَراهُ حيثُ نهاهُ وزجرَهُ وحذَّره».

٦ - وتكونُ: «بطلبِ العلمِ الشَّرعِيِّ، والتفقه في الدِّين، والعمل بالعلم، والدعوة إليه».

فيتعلَّمَ العبدُ ما يَتَّقِى بِه ربَّه ثمَّ يَتقِي، ويجمعُ بينَ العلمِ والعمل، فإذا تعلَّمَ التوحيدَ حقَّقه، وإذا عَرَفَ الشِّركَ اجتنبه، وإذا علِمَ السُّنةَ عمِلَ بها، وإذا عرَفَ البدعةَ ابتعدَ عنها، وعن أهلِها، ومجالِسِها، ودُعاتِها، وفضائياتِها، وإذا تعلَّمَ الأحكامَ الشرعيةَ عبدَ الله بِها على هُدًى، ونشرها في النَّاس، وإذا عرَفَ السيئاتِ عرَفَ الطاعاتِ فعلَها وبادرَ إليها ودعا غيره إليها، وإذا عرَفَ السيئاتِ اجتنبَها ولم يُواقِعْها وحذَّر غيره مِنها.

٧ - وتكون: «بإبعادِ العبدِ نفسته في جميع أحوالِه وأوقاتِه وأمكنته وسِرِّه وعلَنه، ومع جميع الناس، عن كلِّ ما يُغضبُ الله عليه».

وخُلاصة هذه الآيات الثلاث التي ذكرها المُصنِّف _ رحمه الله _:

أوَّلًا - أنَّ طريق ومدار الولاية إنَّما هو على القيام بالأعمال الصالحة قولية أو فعلية أو اعتقادية.

ثانيًا - أنَّ الناس يتفاوتون في الولاية على حسب اتِّباعهم للنبي صلى الله على وسلم، وأعمالهم الصالحة.

ثالثًا - أنَّ أولى الناس بالولاية هُم النَّبيون، ثم الصحابة، ثم مَن سار على طريقهم.

رابعًا _ أنَّ كل مُؤمِن تَقِيٍّ: ولِيُّ لله _ عزَّ وجلَّ _، ومِن أولياء الله الصالحين.

لِقول الله سبحانه في آية سورة "يونس" في بيان مِن هو الوَلِي: { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }.

وصحَّ أنَّ النبي على قال في بيان أسباب نيل محبَّة الله، وجعل العبد مِن أولياء الله، ومَن هو الولِي تأكيدًا للآية السابقة:

((إِنَّ اللَّهَ قَالَ - عَنَّ وجلَّ - قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشْنَيْءِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»)).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي _ رحمه الله _ في كتابه "جامع العلوم والحِكَم" (٢/ ٣٣٤)، عن هذا الحديث:

«وقد قيل: إنَّه أشرف حديث رُوي في ذِكر الأولياء».اهـ

وقال الإمام ابن تيمية _ رحمه الله _ في كتابه "الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان" (ص: ٨)، عن هذا الحديث:

«و هذا أصح حديث يُروَى في الأولياء». اهـ

وقد قد بُيِّن في هذا الحديث أولياء الله تعالى، وأنَّهم:

_ مَن اقتصر فتقرَّب إلى الله بالفرائض الواجبة عليه، وهذا المُقتصِد، وهو مِن أصحاب المَيمَنة واليمين.

_ ومِن كان أعلَى مِنه فتقرَّب إلى الله بالفرائض والنوافل المُستحبَّة، وهذا السابق بالخيرات، وهو مِن السابقين المُقرَّبين.

وقد ذُكِرا جميعًا في قول الله _ عزَّ وجلَّ _: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ إِلْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُولُولًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ }.

فالمُقتصِد هو: «الذي تقرَّب إلى الله بالفرائض مِن أعمال القلوب والجوارح مع ترْك المُحرَّ مات».

والستَابِق بالخيرات هو: «الذي تقرَّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض مع ترْك المُحرَّمات والمكروهات».

وذُكِرا أيضًا جميعًا مع ما أعدَّه الله لهم في أوَّل سورة "الواقعة".

حيث قال الله _ جلَّ وعلا _ عنهم _: { وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ }.

والسَّابقون المُقرَّبون، قد قال الله تعالى في عددهم: { ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ }.

وأصحاب اليمين، قد قال الله سبحانه عن عددهم: { ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْأَوِّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ }.

(V) في كلام المُصنِّف _ رحمه الله _ هذا:

إشارة إلى الانحراف الكبير الذي صار إليه وأصبح عليه مَن يَدَّعِي العلم ويَنتسب إليه مِن أهل البدع والأهواء في باب الولاية والأولياء على مَرِّ العصور، وفي زَمَنه، وإلى يومنا هذا.

فكيف بِمَن هو دونهم في العلم والفقه، بل كيف بعوام الناس.

حيث حصلت عندهم هذه الانحرافات في باب الولاية والأولياء:

الانحراف الأوَّل:

في الحُكم بالولاية لأشخاص مُعيّنين.

— حيث زَعموا الولاية لأشخاص لا يُعرَفون باتِّباع الرسول ﷺ قولًا وفعلًا وفعلًا واعتقادًا وترْكًا.

_ بل زعموها لِمَن عُرِف عنه مُمارسة الشِّركيات والبدع والضَّلالات، والفِسق والفُجور، وترثك الواجبات، وفِعل المُحرَّمات.

_ ولِبعض مَن أجمع العلماء في زمنه على الحُكم عليه بالكفر والزَّندقة والإلحاد، وحَكم قضاة الإسلام بقتله، وطبَّق عليه ولاة الأمر هذا الحُكم.

_ ولِأُناس ادَّعوا النَّبوة، وأنَّهم أنبياء بُوحَى إليهم.

_ ولِقوم تَركوا الفرائض، وزعموا أنَّ أحكام الشريعة بواجباتها ومُستحبَّاتها ومُحرَّماتها قد سقطت عنهم.

ومِمَّن زُعِمت لهم الولاية وهُم مُنسلِخون عن الدِّين زنادقة:

الحارث الدِّمشقي، وابن عربي صاحب كتاب "الفصوص"، وابن الفارض، وابن سبعين، وابن عجَب، والحلَّاج، وأحمد البَدوي الباطني العُبيدي الرافضي، والتيجاني، وغيرهم.

حتى أنَّه قد صئنِّفت كتب ورسائل ماجستير ودكتوراه في بيان ما عند هؤلاء من ضلالات وكفريات كُبرى، وتاريخ أسود ضدَّ الإسلام، وأهل السُّنة.

الانحراف الثاني:

في معرفة من هو الولِي.

حيث أصبح طريق معرفة الولِي عندهم هو:

أنْ تكون له خوارق شيطانية، سمَّوها خداعًا بكرامات، لِتَروج في الناس، ولِيكون لِصاحبها رواج وشُهرة.

وليس اتباع النبي على أقواله وأفعاله واعتقاداته وما تركه، والقيام بالأعمال الصالحة واجبها ومسنونها وفق ما جاء في القرآن والسُّنة النَّبوية الصَّحيحة، وكان عليه الصحابة _ رضي الله عنهم _ مِن العمل والفَهم، وباقي السِّلف الصالح.

ومَن لم تحصل له هذه الخوارق الشيطانية، فليس عندهم مِن الأولياء، ولم يَصل بعد لِمرتبة ولِي.

فخالفوا النصوص الشرعية القرآنية والنَّبوية التي جعلَت مدار الولاية والأولياء على اتِباع النبي ، والأعمال الصالحة.

وصحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ...»)).

وقال الإمام ابن تيمية _ رحمه الله _ كما في كتاب "جامع المسائل" (١/ ٩٧ _ طبعة: دار عالم الفوائد):

«ولهذا اتفق أولياء الله على أنَّ الرَّجل لو طار في الهواء أو مشَى على الماء لم يُعتَبر حتى يُنظَر مُتابعتُه لأمر الله ونهيه». اهـ

وثبت عند الفقيه البيهقي الشافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه "مناقب الشافعي" (١/ ٤٥٤):

عن يونس بن عبد الأعلى، قال: قلت لِمحمد بن إدريس الشافعي: قال صاحبنا الليث بن سعد:

((«لو رأيتُ صاحب هوَى يَمشِي على الماء ما قبلته»، فقال الشافعي: «أما إنَّه قصر ، لو رأيتُه يمشي في الهواء ما قبلتُه»)).

وأخرجه بنحوه ابن أبي حاتم الرَّازي في كتابه "آداب الشافعي ومناقبه" (ص: ١٤١)، بإسناد صحيح.

وصاحب الهَوى هو: «المُبتدع».

وسُمِّي بذلك: لأنَّه يُخالف حُكم الكتاب والسُّنة إلى ما تهواه نفسُه أو فِرْقَتُه أو حِزبُه أو جماعته أو مذهبه أو شيخه.

والليث بن سعد هو إمام وفقيه ومُحدِّث أهل مصر في زمَنه الثقة الثبت.

وقال الحافظ ابن كثير الشافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه "طبقات الشافعيين" (ص: ٣٢)، وغيره:

قال يونس بن عبد الأعلى: قلت للشافعي: إنَّ صاحبنا _ يعني: الليث بن سعد _ كان يقول:

((«إذا رأيتم الرَّجل يَمشِي على الماء فلا تَغترُّوا بِه حتى تَعرِضوا أمرَه على الكتاب والسُّنة»، فقال: «قصر _ رحمه الله _، بل إذا رأيتم الرَّجل يَمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تَغترُّوا بِه حتى تَعرِضوا أمرَه على الكتاب والسُّنة»)).

ومعنى قوله ((حتى تَعرضوا أمرَه على الكتاب والسُّنة)) أي: هل هو مُتَّبِع لهُما، عامل بِهما، مُقدِّم لهُما على غير هما، داعيًا للتمسُّك بما جاء فيهما، مُحذِّرًا مِن مُخالفتهما، يَفهمهما بفَهْم السَّلف الصالح.

الانحراف الثالث:

تنزيل الولِي _ سواء كان صالحًا حقيقة عند الله أو بزعْمهم وهو ليس عند الله كذلك _ منزلة الله _ جلَّ وعلا _.

بحيث تراهم وتسمعهم:

١ - يَصرفون للأولياء بعض العبادات مع الله، كعبادة الدعاء، وغيرها،
 فيقولون:

«أغثنا يا ابن علوان، فرّج عنّا يا جيلاني، مدد يا بدوي، شيئًا لله يا رفاعي، أخرنا مِن النار يا دُسوقي، اشفنا يا مرغني، انصرنا يا مهدي».

٢ - ويَز عمون أنَّ الأولياء يعلمون الغيب الذي هو خاص بالله وحدَه.

والله سبحانه يقول ردًّا لِهذا الكفر: { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ النَّهُ كَا اللَّهُ }.

عون أنَّ الأولياء يتصرَّفون في الكون، ويُدبِّرون أمور الخلق، مع أنَّ الكفار في زَمن الرسول على كانوا يُقِرون بِه لله وحدَه.

حيث قال الله سبحانه عن هؤلاء المشركين الأوائل: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْمَيِّتِ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَقُونَ }.

وقال _ جلَّ وعلا _ عنهم: { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ }.

(^) هذا الكلام الذي ذكره المُصنيف _ رحمه الله _ قد وصل إليه وقرّره عدد مِن غُلاة ومشيخة الصوفية.

وهو: «ترْك اتِّباع الرَّسول ﷺ فيما جاء بِه مِن عند الله في آيات القرآن وأحاديث السُّنة النَّبوية، وترْك العمل بأحكام الشرعية، وعدم القيام بالعبادات الواجبة والمسنونة».

حيث:

١ ـ زعموا أنّ الأعمال الشرعية كالصلاة والجهاد وغيرهما، واتباع الرّسول هي والعمل بالأوامر والنّواهي الشرعية، والواجبات والمُستحبّات قد سقطت عنهم، ولم يَعودوا مِن المُكلّفين بها كباقي الخلق، لأنّهم قد بلَغوا منزلة اليقين، ووصلوا إليها، وأصبحوا مِن أهلها.

وقالوا كذِبًا وزُورًا وتلبيسًا على النَّاس إنَّ معنى قول الله تعالى: { وَاعْبُدْ رَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ }، هو:

استمر على عبادة ربِّك بما جاء بِه الرسول ﷺ حتى تترقَّى فتَصل إلى مرتبة اليقين، التي هي مرحلة سقوط العبادات الشرعية عنك.

والمراد باليقين في هذه الآية هو:

الموت بنص القرآن، والسُّنة النَّبوية، واتفاق وإجماع العلماء مِن مُفسِّرين وغير هم.

أمًّا القرآن:

١ - فقد قال الله تعالى آمِرًا بالاستمرار على عبادته إلى ساعة الموت: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }.

١ = وقال الله = عزَّ وجلَّ = عن إجابة الكفار وهُم في النَّار عن سبب دخولهم فيها: { إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا ثُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَى أَتَانَا الْيَقِينُ }.
 نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا ثُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ }.

واليقين هُنا هو: الموت بإجماع المُفسرين.

وأمَّا السُّنَّة النَّبوية:

فقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ لمَّا مات عثمان بن مَظْعُون _ رضي الله عنه _ قال: ((أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ الْيَقِينُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ)).

واليقين هُنا هو: الموت، كما هو صريح هذا الحديث، ولا خلاف بين العلماء في ذلك.

وأمًا إجماع العلماء واتفاقهم على أنَّ اليقين في الآية السابقة هو الموت، فقد نقله:

— المُفسِّر أبو الحسن الواحدي – رحمه الله – مِن الشافعية في تفسيره "الوسيط" (7/ 7).

_ والمُفسِّر ابن عطية الأندلسي المالكي _ رحمه الله _ في "تفسيره" (٥/ ٣٣٩).

_ والفقيه ابن تيمية _ رحمه الله _ كما في "مجموع الفتاوى" (١١/ ١٨).

و الفقيه ابن قيِّم الجوزية رحمه الله في كتابيه "طريق الهجرتين" (ص: 374) و "مدارج السالكين" (١/ 374) و "مدارك (

_ والفقيه مُلا علي قاري الحنفي _ رحمه الله _ في كتابيه "شرح مُسند أبي حنيفة" (ص: ٢٨٥) و "شرح الشفا" (١/ ١١٢).

وعديدون غيرهم.

٢ ـ وزعموا أنَّ لهُم الخروج عن شريعة النبي محمد هُ وعدم عبادة الله بها، لأنَّهم قد أصبحوا يَتلقَّون عن الله مُباشرة، ويأخذون عنه بدون واسطة الرُّسل.

وهذا كفر باتفاق وإجماع العلماء.

حيث قال الفقيه أبو العباس القرطبي المالكي _ رحمه الله _ كما في كتاب الفتح الباري المراري المرا

«مَن قال: "إنَّه يأخذ عن قلبه"، لأنَّ الذي يقع فيه هو حُكم الله، وأنَّه يعمل بمُقتضاه مِن غير حاجة مِنه إلى كتاب ولا سُنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النُّبوة، كما قال نبيُّنا ﷺ: ((إنَّ رُوح القُدُس نَفَتُ في رَوعِي)).

وقد بلغنا عن بعضهم أنَّه قال: "أنا لا آخذ عن الموتى، وإنَّما آخذ عن الحَي الذي لا يموت"، وكذا قال آخر: "أنا آخذ عن قلبي عن ربِّي".

وكل ذلك كُفر باتفاق أهل الشرائع». اهـ

وقال الفقيه أبو العباس القرطبي المالكي ـ رحمه الله ـ في كتابه الله ما كله ما الله ما كالم الله ما الله ما كالم الله ما الله ما كالم الله ما ال

«حصل العلم القطعي، واليقين الضّروري، وإجماع السّلف، والخلّف على: الله الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يُعرف شيء مِنها إلا مِن جهة الرُّسل الكرام.

فمَن قال: إنَّ هناك طريقًا آخَر يُعرَف بها أمرُه ونهيه غير الرُّسل، بحيث يُستَغنَى بها عن الرُّسل، فهو كافر، يُقتل ولا يُستتاب، ولا يُحتاج معه إلى سؤال ولا جواب». اهـ

وقال الإمام ابن تيمية _ رحمه الله _ كما في "مجموع الفتاوي" (١١/ ٥٣٩):

﴿ أُمَّا مَن جعل كمال التحقيق الخروج مِن التكليف:

فهذا مذهب الملاحدة مِن القرامطة والباطنية ومَن شابههم مِن الملاحدة المُنتسبين إلى علم أو زُهد أو تصوف أو تزَهُد.

يقول أحدهم: "إنَّ العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة، فإذا حصلت زال عنه التكليف".

ومَن قال هذا فإنَّه كافر مُرتد باتفاق أئمة الإسلام.

فإنَّهم متفقون على أنَّ الأمر والنَّهي جارٍ على كل بالغ عاقل إلى أنْ يموت». اهـ

وقال أيضًا (١١/ ٢٤٤):

«بل مِمَّا يُعلم بالاضطرار مِن دِين الإسلام:

أنَّه لا يجوز لِمَن بلَغَتْه دعوته ﷺ أَنْ يَتَبع شريعة رسول غيره كموسى وعيسى.

فإذا لم يَجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول، فكيف بالخروج عنه، والرُّسل». اهـ

وقال القاضي عياض المالكي ـ رحمه الله ـ في كتابه "الشِّفا بتعريف حقوق المُصطفى" (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨):

«وكذلك أُجمِع على تكفير:

_ مَن قال مِن الخوارج: "إنَّ الصلاة طرَفي النهار".

- وعلى تكفير الباطنية في قولهم: "إنَّ الفرائض أسماء رجال أُمِروا بولايتهم، والخبائث والمَحارم أسماء رجال أُمِروا بالبراءة مِنهم".

_ وقول بعض المُتصوِّفة: "إنَّ العبادة وطول المُجاهدة إذا صنَفَت نفوسهم أفضنت بِهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورْفع عهد الشرائع"».اهـ

٣ ـ وزعموا أنَّ الولِيَّ أفضل مِن النبي محجد ﷺ، ومِن غيره مِن الأنبياء ـ
 عليهم الصلاة والسلام ـ.

وقد قال الفقيه أبو العباس القرطبي المالكي ـ رحمه الله ـ في كتابه اللهفهم" (٦/ ٥ ٣١)، رادً عليهم:

«إذ النّبي أفضل مِن الولي بالإجماع». اهـ

وقال أيضًا (٦/ ٢١٧):

«فلا إشكال أنَّ النبي أفضل مِن الولي.

وهذا أمرٌ مقطوع بِه عقلًا ونقلًا، والصائر إلى خلافه كافر، فإنَّه أمرٌ معلوم مِن الشرائع بالضرورة». اهـ

وفي تأكيد هذه المذاهب والأقوال الباطلة الفاسدة الكفرية عن غُلاة الصوفية:

١ ـ قال الفقيه أبو محد ابن حزْم الظاهري الأندلسي ـ رحمه الله ـ في
 كتابه "الفصل في المِلَل والأهواء والنّحل" (٤/ ١٧١):

«ادَّعت طائفة مِن الصوفية: أنَّ مِن أولياء الله تعالى مَن هو أفضل مِن جميع الأنبياء والرُّسل.

وقالوا:

_ مَن بلَغ الغاية القصوى مِن الولاية سقطت عنه الشرائع كلها، مِن الصلاة والصيام والزكاة، وغير ذلك.

_ وحلَّت له المُحرَّمات كلها، مِن الزِّنا والخمر، وغير ذلك.

- واستباحوا بهذا نساء غيرهم.

وقالوا:

_ إنَّنا نِرى الله، ونُكلمه.

_ وكلما قُذِف في نفوسنا فهو حق».اهـ

وقال ايضًا (٤/ ٣٤٢):

«واعلموا أنَّ كل مَن كفر هذه الكفرات الفاحشة مِمَّن يَنتمي إلى الإسلام، فإنَّما عنصرهم:

الشِّيعة، والصوفية.

فإنَّ مِن الصوفية مَن يقول: أنَّ مَن عرَف الله تعالى سقطت عنه الشرائع.

وزاد بعضهم: واتَّصنل بالله تعالى».اهـ

وقال ايضًا (٤/ ٢١-٢٢):

«وقد كنا نسمع عن قوم مِن الصوفية أنَّهم يقولون: أنَّ الولِي أفضل مِن النبي.

وكنَّا لا نُحقق هذا على أحدٍ يَدين بدِين الإسلام، إلى أنْ وجدنا هذا الكلام كما أورَدنا، فنعوذ بالله مِن الارتداد.

ولو أنَّ هذا الَّضال المُضِل يدري ما معنى لفظة: "أفضل"، ويدري فضيلة النُّبوة، لَمَا انطلق لِسانه بهذا الكفر، وهذا التكذيب للنبي ﷺ إذ يقول: ((إنِّي لأتقاكم لله))...

فالأنبياء _ عليهم السلام _ أحق بهذه الدرجة، وبكل فضيلة:

بلا خلاف مِن أحدٍ مِن أهل الإسلام». اهـ

٢ ـ وقال الفقيه أبو الحسن الأشعري الشافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه
 المقالات الإسلاميين (ص: ٢٨٩ أو ٢٢٥):

«وفي النُّسَاك قوم يَزعمون: أنَّ العبادة تبلُغ بِهم إلى منزلة تَزول عنهم العبادات، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم مِن الزِّنا وغيره مباحات لهُم.

وفيهم مَن يَرْعم: أنَّ العبادة تبلُغ بِهم أنْ يَروا الله سبحانه، ويأكلوا مِن ثمار الجنَّة، ويُعانِقوا الحُور العين في الدُّنيا، ويُحارِبوا الشياطين.

ومنهم من يزعم: أنَّ العبادة تبلغ بِهم إلى أنْ يكونوا أفضل مِن النَّبين والملائكة المُقربين». اهـ

وقول المُصنِّف _ رحمه الله _:

[ولابد مِن ترْك الجهاد، فمن جاهد فليس مِنهم.

ولابُد مِن ترْك الإيمان والتقوى، فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس مِنهم.

إنَّما هو مِن ضرب الأمثلة على باطلٍ موجود عند الصوفية، وفي طُرقهم.

وذِكر ـ رحمه الله ـ تَرَك الإيمان والتقوى:

لأنَّ بعض غلاة الصوفية قد زَعم أنَّ العبادات الشرعية التي جاء بها الرسول على قد سقطت عنه، وأنَّ له إيمانًا خاصًا يتلقاه عن الله مُباشرة، وليس عن طريق رسوله محمد على وهذا عين الكفر، وكفر باتفاق العلماء، وهو ترْك للتقوى والإيمان والإسلام.

وكثير مِن أفراد الصوفية يزعمون ذلك لِمن يزعمون والايتهم، ويوافقون عليه، ويُصدِقون بِه، وينشرونه.

وذِكر _ رحمه الله _ تَرَك الجهاد في سبيل الله:

لأنَّ الجهاد مِن أوائل وأظهر ما قام هؤلاء بتركه، وإبعاد أتباعهم عنه، وترْك التحريض عليه إنْ وجِدَ تحت إمام، وكان في سبيل الله، وانتظمت شروطه.

وقد كان الكفار إبَّان غَزوهم لِبلاد الإسلام وإلى اليوم يَدعمون الطُّرق الصُّوفية بالمال، وغيره.

ولا يتَعرَّضون لهم ولِزواياهم وأربطتهم وقبورهم المبنيِّة وقِبابها.

ويَسعَون في أنْ يكون الصوفية هُم مَن يُمثِّل المسلمين، وتكون لِمذاهبهم وطُرقهم الأكثرية والغلبة في بلاد الإسلام.

وكانت مشيخات مِن الصوفية تُعين الاستعمار الكافر لِبلاد المسلمين، وتخون شعوبها لأجلهم، ولقاءاتهم معهم معروفة، بل وأفصرت بها بعض رُموزهم، ونُشِرت في صنحف ومجلات.

وقد قال الله _ جلَّ وعلا _: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ }.

ثمَّ قال الإمام حجد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _:

[الأصل السادس: (١)

رَدُّ الشُّبهة (٢) التي وضعها الشيطان (٣) في ترْك القرآن والسُّنة، واتِباع الأراء والأهواء المُتفرقة المُختلفة. (٤)

وهي: أنَّ القرآن والسُّنة لا يعرفهما إلا المُجتهد المُطلَق. (٥)

والمُجتهد المُطلَق هو:

الموصوف بكذا وكذا، أوصافًا لعلَّها لا توجد تامَّة في أبي بكر وعمر. (١)

فإنْ لم يكن الإنسان كذلك، فليَعرض عنهما فرضًا حتمًا، لا شَك ولا إشكال فيه. (٧)

ومَن طلب الهُدى مِنهما فهو: إمَّا زنديق، وإما مجنون، لأجل صعوبة فهمها. (^)

فسنبحان الله وبحمده، كم بين الله سبحانه شرعًا وقدَرًا، خلقًا وأمْرًا، في رَدِّ هذه الشُّبهة الملعونة مِن وجوه شتَّى بلغت إلى حدِّ الضَّروريات العامَّة، ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون. (٩)

{ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَعْلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤمِنُونَ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِرْهُ بِمَغْفِرَةٍ يُؤمِنُونَ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }. (١٠)

آخِره، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيِّدنا محد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.

		•	الشرح
--	--	---	-------

(١) هذا الأصل ـ وهو السادس والأخير ـ يتعلَّق بأمرين:

الأمر الأوَّل:

رَدّ الحق الذي دلَّت عليه الأدلة الشرعية بسبب الغُلو في العلماء والفقهاء ولو عظموا وجلُّوا، وكانوا أئمة كبارًا في العلم والعمل والقدوة.

ويحصل ذلك:

بتقليدهم أو تقليد مذاهبهم في جميع الأحكام الدّينية، والتعصُّب إلى ما ذهبوا إليه مِن قول أو فهم، حتى ولو كان زَلَّة عالم، وخلاف نصِّ شرعي أو إجماع أو قياس أو مذهب صحابة، أو قول صحابي لا مُخالِف له فيه مِن الصحابة.

ناهيك عن التقليد والتعصبُّب لِفرَق وجماعات وطُرق أهل البدع والأهواء وأئِمَّتهم ورُؤوسهم ورُموزهم ودعاتهم، ومَن ليسوا بعلماء فقهاء أصلًا، كالوعاظ والقُصناص وأشباههم، وما ذهبوا إليه، وانتَحلوه، ودعوا الناس إلى اعتقاده وقوله وفعله.

الأمر الثاني:

ذِكر ونقض بعض الشُّبَه التي وضَعها طوائف مِن المُتأخِّرين في تسويغ هذا النوع الباطل مِن التقليد، والتعصُّب له، وللقائل بِه، وفِرَقه وجماعاته وطُرقه الصوفية.

ومُناسب جدًّا إيراد هذا الأصل السادس مع بقيَّة الأصول، وبعد ما تقدَّمه مِن أصول خمسة.

حيث كان الأصل الخامس يتعلَّق: بمعرفة أولياء الله المُتقين، والتفريق بينَهم وبين مَن أُلْبِسَ لِباسَهم زُورًا وبُهتانًا وإضلالًا للناس.

وكان الأصل الرابع عن: تمييز العلم والفقه الصَّحيح وأهله مِمَّن لا يدخل فيه، ولا في أهله، لأنَّه قد التَبس غير هذا العلم وأهله على كثير مِن الناس، فأدخلوا علوم أهل البدع والأهواء وأهلها والدُّعاة والقُصَّاص والوعاظ في هذا العلم، وفي أهله، فأصبحوا مرجعَهم في أحكام الشريعة والإفتاء والنوازل، وصار كلامهم هو العلم والفقه الصَّحيح المقبول.

وكان الأصل الثالث يتعلَّق: بأُمَّة الإسلام، واجتماع كلمة أهلها في الدُّنيا، وتوحُّد صفوفهم، وائتلاف قلوبهم، بإعطاء حاكمهم الذي يجتمعون عليه حقَّه الوارد في نصوص الشريعة، مِن السمع والطاعة له في المعروف.

وكان الأصل الثاني يتعلَّق: بحق دِين الإسلام على أهله، وهو أنْ يجتمعوا عليه، ولا يتقرَّقوا فيه.

وكان الأصل الأوّل يتعلّق: بحق الله تعالى على العباد، وهو: «أَنْ يَعبدوه ولا يُشركوا بِه شيئًا».

ثم جاء هذا الأصل، _ وهو السادس _، ويتعلق برَّد ونقض وكشْف الشُّبَه التي وضِعَت مِن قِبَل أهل البدع والأهواء:

لِصَدِّ الناس عن أخذ الحق مِن نصوص القرآن والسُّنة النَّبوية، وإضعاف تعليق الحق بقال الله سبحانه، وقال الرسول ، وقال الصحابة _ رضي الله عنهم _.

- باسم الاجتهاد والمُجتهدين.

- وتصعيب فهم نصوص الشريعة التي وصفها الله ورسوله بالبيان والوضوح.

وغايتُهم تعليق الناس بمعرفة الحق والباطل إلا عن طريقهم، وطريق فِرَقهم وأحزابِهم وطُرقهم، ومَن يُحِبُّون ويُعظِّمون.

وبسبب عدم معرفة هذا الأصل وضبطه وفْق شريعة الله، وسبيل السلف الصالح، ودخول الشُبه فيه، وانتشار المُخالفين له، وتمكينهم مِن القضاء والإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة:

_ ضَلَ الناس في الأصل الأوَّل، فأشركوا غير الله مع الله في عبادته.

_ وضلوا في الأصل الثاني، فاجتمعوا على البدع والأهواء والضَّلالات، وتعاضدوا عليها.

- وضلوا في الأصل الرابع، باجتماعهم على فِرَقهم وأحزابهم وجماعاتهم وطُرقِهم الصوفية، وإعطائهم بيعتَهم وسمعَهم وطاعتَهم لِمُرشِديها وشيوخها، مع أنَّ البيعة والسمع والطاعة في الشريعة حق للحاكم.

_ وضلوا في الأصل الخامس، فلم يُميّزوا الولِيَّ التقِي السُّني ومالَه وما عليه، مِن المُبتدع الضَّال في نفسه، والمُضِل لِغيره، باسم الولاية والأولياء ومحبَّتهم.

فبيَّن المُصنَّف _ رحمه الله _ في هذه الرسالة:

المعنى الصَّحيح للدِّين ووجوب إقامته أوَّلًا، ثم وجوب الاجتماع على هذا الدِّين ثانيًا، ثم وجوب القيام بالحق الذي يُوجِّد صفوف وكلمة أهل هذا الدِّين في الدُّنيا ثالثًا، وهو حق الحاكم، ثم ربَّع بحق العلم والعلماء بتمييز هما عمَّن تشبَّه بهما، وهو لا يدخل فيهما، ليُؤخذ الحق عن أهله، ويُعبد الله بالحق، وعلى بصيرة، ثمَّ أتَى بالأصل الخامس وهو عن التفريق بين أولياء الله الصالحين ومَن تشبَّه بِهم، حتى لا يَضِل الناس ويُضلَّلوا عمًّا سَبق مِن أصول باسم الأولياء والولاية، واسم محبَّة الصالحين وشفاعتهم وجاههم ومنزلتهم الرفيعة.

ثم ختَم المُصنِّف _ رحمه الله _ بهذا الأصل، _ وهو السادس _ لأمور عدَّة، منها:

أُوّلًا: تعليق الناس بالحق، ومصادر أخذه، وهي نصوص القرآن والسُّنة النَّبوية الثابتة.

ثانيًا: تأكيد أنَّ الحق واضح وبيِّن في النصوص الشرعية، ويسهل الوصول اليه، ولا يُحتاج في عامَّته أو أكثره وضرورياته إلى مزيد علم.

ثاثاً: بيان أنَّ مدار وميزان كل مِن انتسب للعلم إنَّما هو:

على تقرير الحق وفق قال الله سبحانه، وقال رسوله ﷺ، وقال الصحابة _ رضي الله عنهم _.

(٢) جعلها المُصنِّف _ رحمه الله _ شُبهَة:

لأنَّها قد أثَّرَت على كثير مِمَّن انتسب إلى العلم مِن المُتأخِّرين، وراجَت فيهم، وجرُّوا بِها كثيرًا مِن أتباعِهم وعوام الناس إلى هذا النوع مِن التقليد المذموم، والتعصيُّب له، وللقائلين بِه.

مع أنَّه لا دليل عليها مِن القرآن أو السُّنة النَّبوية الصَّحيحة أو أقوال الصحابة الثابتة أو الإجماع.

بل الأدلة الشرعية على خلافها، وعلى ذَمِّها.

و لا قال بها أحد مِن السَّلف الصالح مِن الصحابة _ رضي الله عنهم _، والتابعين، ومَن بعدهم.

ولا أئمة المذاهب الأربعة، ومَن في أزمنتهم مِن أئمة الفقه والحديث والسُّنة مِن فقهاء ومُحدِّثين.

بل أقوالهم وأفعالهم على خلافها، وعلى ذَمِّها.

(٣) أي:

مِن شُبَه الشيطان التي وضعها في عقول هذه الطائفة مِن المُتأخِّرين الذين انتسبوا إلى العلم الشرعي، وإلى الفقهاء والمذاهب.

وجعل المُصنِّف _ رحمه الله _ هذه الشبهة مِن وضع الشيطان، لأمرين: الأمر الأوَّل: أنَّها شُبهة باطلة بالقرآن والسنُّنة والإجماع، والباطل مِن وحْي الشيطان وتزيينه وتضليله.

١ وقد قال الله _ جلَّ وعلا _ عن إضلال الشيطان للناس: { أَلَمْ تَرَ إِلَى النَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكُفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا }.

٢ - وقال الله - عزَّ وجلَّ -: { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
 تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ }.

٣ - وقال الله سبحانه عن وعد الشيطان: { وَقَالَ لَأَتَخِذَنَ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأَضِلَنَهُمْ وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ }.

وقال الله تعالى عن فهم هُدهد سليمان _ عليه السلام _: { وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
 فَصدَ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ }.

٦ - وقال الله تعالى: { وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
 وَكَاثُوا مُسْتَبْصِرِينَ }.

٧ - وقال الله - تبارَك وتقدَّس - مُمتنَّا ومُبشِّرًا: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }.

الأمر الثاني:

لِيَنفرَ طلاب العلم والحق وعموم الناس عن هذه الشُّبهَة، وعن القائلين بها، ودُعاتها، ويظهرَ لهم جليًا ضعفها وبطلانها، وأنَّها مُصادِمة لأدلة الشريعة.

لأنَّ الشيطان لا يأتي إلا بالشر، ولا يَهدي إلا إليه.

١ وقد قال الله سبحانه مُنفِّرًا عباده عن اتباع ما يُمليه الشيطان: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ اللَّهُ مُا اللَّهُ عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ اللَّهُ عَذَابِ السَّعِيرِ }.

٢ - وقال الله - عزَّ وجلَّ - زاجِرًا عباده عن اتِّباع خطوات الشيطان: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَانْ يَا اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَصْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ يَشَاءُ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

(٤) في كلام المُصنِّف ـ رحمه الله ـ هذا بيان نتيجة هذه الشُّبهة الشيطانية، وما تَجُر إليه وتُسبِّبه مِن باطل لِمَن قبِلَها مِن الناس، وعمل بِها، واتَّبعها، ودعا إليها، وأنَّها:

— تؤدِّي إلى ترْك العمل بالنصوص الصريحة مِن القرآن والسُّنة النَّبوية الثَّبوية الثَّبوية الثَّبوية في كثير مِن المسائل الشرعية.

- وتجعل العمل بأقوال بعض العلماء الذين هُم مِن البشر، ويَحصل مِنهم الخطأ في المسائل الشرعية بالنَّص والإجماع هو الأصل، والمُعتمد في الأحكام الشرعية.

_ وتقدَّم اتِّباع الأراء البشرية التي مَبناها العقل على الوحْي الذي هو قال الله تعالى، وقال رسوله على

- وتقود الناس إلى سلوك الأهواء الضَّالة المُتفرِّقة المُختلفة التي قرَّرها وذهب إليها أهل البدع والأهواء، ومالت إليها فِرَقهم وجماعاتهم وأحزابهم وطُرقهم الصوفية، وكان عليها رُموزها ودعاتها ومشيختها.

(٥) هذا هو نص هذه الشُّبهَة:

أنَّ آيات القرآن وأحاديث السُّنة النَّبوية لِصعوبتها الشديدة لا يَعرف معناها، ولا ما تَدُل عليه مِن أحكام، وما يُستنبط مِنها مِن فقه، إلا العالم والفقيه الذي بلَغ رُتبة:

«المُجتهد المُطلَق».

يَعني: لا يَعرفها إلا آحاد الناس، والقليل النَّادر مِنهم جدًّا.

ومِن لم يَصل إلى هذه المرتبة، فلن يَفهم النصوص الشرعية، ولن يستطيع الاستنباط مِنها.

وبناء على هذا الرأي العقلى:

فلا يجوز عند هؤلاء لأحد مِن أهل العلم وطلابه أنْ يَستنبط ويُفتِي بوجوب أو تحريم أو إباحة ما ظهر له مِن الدليل الشرعي، حتى ولو كان هذا الدليل صريحًا وواضحًا، ما دام أنَّه لم يَصل إلى هذه المرتبة.

وأصبح كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ الكثير العربي السَّهل المُبين البييِّن البييِّن الواضح عند هؤلاء غير مفهوم ولا معلوم لِعموم الأمَّة.

و هذا مِن أبطل الباطل، وأجهل القول، وأسفَه المذاهب.

لأنَّ الله سبحانه قد وصنف كتابه القرآن بأنَّه مُبين وواضح، وآياته واضحة بينة في كثير مِن الآيات.

١ حيث قال الله _ جل وعلا _: { شَهُرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
 هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ }.

٢ - وقال الله - عزَّ وجلَّ -: { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانِ عَرَبِيّ مُبِينٍ }.
 الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانِ عَرَبِيّ مُبِينٍ }.

٣ - وقال الله تعالى في شأن رسوله محد ﷺ: { قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ
 نَذِيرٌ مُبِينٌ }.

عُ _ وقال الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنْمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنْمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْهُمْ فَاعْلَمُوا أَنْمَا عَلَى رَسُولِنَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّيْنِهُمْ فَاعْلَمُوا أَنْمُا لَا الله _ تبارَك و تقدَّس _: { فَإِنْ تَوَلَّى الله لَا عَلَى الله عَلَمُ الله عَلَى الله عَلَ

ولِهذا لو قرأت على عوام الناس آيات وأحاديث وجوب العبادات، وتحريم المُحرَّمات، والترغيب في الأخلاق والآداب، وفضائل الأعمال الصالحة لعرفوا جُلَّ أو أكثر ما فيها، وفهموه.

ولو كانت نصوص القرآن بهذا الغُموض الذي افتروه وزعموه، ولا يَفهمه إلا آحاد الناس، لَمَا عاب الله سبحانه على عباده عدم تدبُّر هم للقرآن، ولَمَا

دعاهم جميعًا إلى تدبُّره، لأنَّه خارج عن استطاعة أكثر هم أو عامَّتهم، إذ لا يَصل إليه إلا الآحاد القلائل.

١ حيث قال الله _ جلَّ وعلا _: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ
 غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }.

٢ _ وقال الله تعالى: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }.

والتَّدبُّر نتيجته الفقه والفَهم لِما جاء في القرآن مِن أحكام وفضائل مواعظ وقصر وترغيب وترهيب.

٣ - وقال الله - جلَّ وعلا - آمِرًا نبيَّه محمدًا ﷺ: { فَذَكِرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٍ }.

وهذا يؤكِّد سهولة فهم القرآن، إذا كيف يُؤمر النبي على بالتذكير بالقرآن، وهو لا يُفهم إلا مِن الخواص والقِلَّة جدًّا.

ويُقوي ذلك:

ع - قول الله سبحانه مُخبِرًا عن تيسيره كتابه القرآن: { وَلَقَدْ يَسَرَّنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }.

فيَسِّر الله سبحانه تعلُّمه وتعليمه، وتلاوته وحفظه، وتدبُّره وفْهم أحكامه، والعمل بِه، والدعوة إلى ما جاء فيه.

والأحكام الشرعية التي وردَت في آيات القرآن، وأحاديث النبي على:

مِنها: ما يَفهمه غالب الناس، وهو الأكثر.

ومِنها: ما يَفهمه طالب العلم.

ومنها: ما يحتاج فهمه إلى طالب علم قوي أو عالم.

ومنها: ما يحتاج فهمه إلى خواص أهل العلم الرَّاسخين.

(١) هذا الأمر يُعتبر:

تضييقًا مِن هؤلاء القوم للتفقه في الدِّين، وتبصيرًا لِعموم لناس بقبح هذا القول والمذهب والرأى، وعواقبه الشنيعة، وفساده وبطلانه.

لأنَّهم:

بعد أنْ حصروا فهم معاني وأحكام آيات القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن حصل على مرتبة الاجتهاد المُطلَق مِمَّن انتسب إلى العلم والفقه الشرعي.

صعّبوا الوصول إلى مرتبة الاجتهاد المُطلق باشتراطهم للمُجتهد المُطلَق أوصافًا عديدة لا دليل عليها مِن الشريعة، لا في نصٍّ، ولا مِن إجماع.

بل قد لا توجد تامَّة في كثيرٍ مِن العلماء الذين هُم مِن أعلم الناس وأفقههم، وعلى رأسهم الفقهاء مِن الصحابة والتابعين ومَن بعدهم.

وهذا:

إغلاق منهم لِباب الاجتهاد والمُجتهدين، ولكن بأسلوب يَحصل بِه الاغترار، ويُظن مِن قِبل عديدين أنَّه صواب.

بل وجاء من حصر الاجتهاد بأئمة المذاهب الأربعة دون من بعدهم، وجاء من حصر من بعدهم، وجاء من حصر من بعد القرن الرابع الهجري أو الخامس.

وهذا القول باطل ومردود بأمور عدّة:

الأمر الأوَّل:

هذه الآيات القرآنية، وغيرها.

١ حيث قال الله _ تبارَك وتقدّس _: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْحَوْفِ أَدْا كُوفِ أَذَا عُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ التَّذِينَ يَسْتَثْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }.

٢ - وقال الله - جلَّ وعلا -: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ
 وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }.

١ - وقال الله - عزَّ وجلَّ -: { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَنَّءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ }.

وهذه الآيات الثلاث: عامَّة في جميع الأزمان.

والرَّد إلى الله هو الرَّد إلى كتابه القرآن، والرَّد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته وإلى سُنَّته بعد موته.

وقد نَقل الإجماع على هذا المعنى والتفسير للرَّد جمع مِن العلماء.

ويَدخل في أُولِي الأمْر: العلماء كما جاء عن السَّلف الصالح، وبدَلالة ذِكر الاستنباط، فهُم أقوى وأولِي الناس به.

وفي الآية الثانية: الأمر بالرَّد، وهو للوجوب.

وهذه الشُّبهَة الشيطانية كما سمَّها المُصنِّف _ رحمه الله _:

تُغلق باب الرُّجوع إلى كتاب الله ورسوله عند الاختلاف والتنازع، لأنَّها جعلَت الرَّد إلى مَن حُصِر فيهم الاجتهاد، وأُوجِب تقليدهم فهمًا وترجيحًا، وهُم بشر يُخطئون ويُصيبون في المسائل الشرعية بالنص والإجماع.

الأمر الثاني:

عُموم قول الله _ جلَّ وعلا _: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.

حيث يَدخل فيها جميع الناس، وفي جميع الأزمان، وجميع من كان مِن أهل العلم.

وتدُل على وجود العلماء في كل زمان، لأنَّ الشريعة لا تُرجع الناس إلى معدوم الوجود.

والمُقلِّد ليس بعالم بإجماع العلماء.

حيث قال الحافظ ابن قيِّم الجوزية _ رحمه الله _ في كتابه "أعلام الموقعين" (١/ ٦):

«قال أبو عمر، وغيره مِن العلماء: "أجمع الناس على أنَّ المُقلِّد ليس معدودًا مِن أهل العلم، وأنَّ العلم معرفة الحق بدليله".

وهذا كما قال أبو عمر _رحمه الله _: "فإنَّ الناس لا يختلفون أنَّ العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأمَّا بدون الدليل فإنَّما هو تقليد".

فقد تضمَّن هذان الإجماعان: إخراج المُتعصِبّب بالهوى، والمُقلِّد الأعمى عن زُمرة العلماء». اهـ

وقال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر المالكي ـ رحمه الله ـ في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" (٢/ ٩٩٣):

«والمُقلِّد لا علم له، ولم يَختلفوا في ذلك».اهـ

الأمر الثالث:

حديث رسول الله ﷺ الصَّحيح: ((إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطأً فَلَهُ أَجْرً)).

وهذا النص تدخل فيه: جميع الأزمنة، وجميع مَن كان فيها مِن العلماء على هذا الوصنف مع المسألة الشرعية المُجتَهَد فيها.

ويُثبت: وجود الاجتهاد، والأجرين للمُجتهد المُصيب مِنهم، والأجْر الواحد لِمَن أخطأ في اجتهاده، وعُذرَه.

الأمر الرابع:

الإجماع المُبطل لِحَصْر التقليد في أشخاص مُعيَّنين، وأزمنة مُعيَّنة.

حيث قالَ الإمامُ الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ:

«أجمعَ المسلمونَ على أنَّ مَن استبانَتْ لهُ سُنَّةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لم يكنْ لهُ أنْ يَدَعَها لِقولِ أحدٍ مِن الناسِ». اهـ

الأمر الخامس:

أنَّ هذا القول مُجرَّد رأي مَحْض.

والرأي لا تُلزَم بِه الأُمَّة، ويُوجَب عليها، وتُدعى إليه، ويُشدَّد عليه فيه، ولا دليل مع أهله مِن نصِّ أو إجماع، بل النصوص الشرعية والإجماع على خلافه.

الأمر السادس:

أنَّ هذا القول مُحدَث ومُبتدع.

إذ لا قائل بِه مِن السَّلف الصالح مِن الصحابة، فمَن بعدهم، ولا أئمة الفقه والحديث الأوائل، كالأئمة الأربعة، وأهل زمانهم.

الأمر السابع:

النصوص الواردة عن أئمة المذاهب الأربعة أنفسهم، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله ـ في دعوة الناس إلى عدم تقليدهم، ولا تقليد غيرهم.

وهي مبثوثة في كثير مِن كتب الحديث والفقه، والكتب القديمة والمُتأخِّرة، والمُسندة وغير المُسنَدة، وكتب المذاهب الأربعة.

(٧) هذه نتيجة هذا القول الرديء المُحدَث، والمذهب الفاسد المُنخرف، والرأي الباطل المُضل، وهي:

- التشديد على الناس بغير حق ولا هُدى مِن الله ورسوله في الوصول إلى فهم آيات القرآن والأحاديث النّبوية، واستنباط الأحكام مِنهما، بأنّه لا يَحصل إلا لِخواص الناس، وأقلِّهم جدًّا، والنّدرة فيهم.

_ وأنْ يُعرَضَ عن القرآن والسُّنة النَّبوية، وتدبُّر وتفهُّم ما جاء فيهما، والاحتجاج بِهما، ويُخلَدَ إلى تقليد أشخاص مَعدودين مِن أهل العلم فيما ذهبوا إليه، وما فهموه، وما استنبطوه، وما رجَّحوه.

ثم مِن أهل هذا القول الباطل المُحدَث: مَن أو جَب تقليد شخص واحد مِن الأئمة بعينه.

ومنهم: مَن أوجبَه في حق عدد قليل مِن الأشخاص، وهُم أئمة المذاهب الأربعة دون غيرهم.

ومنهم من قال: إذا قلَّد واحدًا مِن الأئمة الأربعة فلا يجوز أنْ يَجمع معه شخصًا آخَر مِنهم.

مع أنَّ جميع العلماء يَحصل مِنهم الخطأ بدَلالة النص الشرعي، وإجماع أهل العلم.

والأئمة الأربعة _ رحمهم الله _ وغيرهم أيضًا بريئون مِن هذا التشديد والأئمة الأربعة _ رحمهم الله _ وغيرهم أيضًا بريئون مِن هذا التشديد والإيجاب والغُلو، ومُتبرّؤون.

(A) أي مَن طلب معرفة الحق والصواب في المسائل الشرعية أو حُكم شيء مِن نصوص القرآن والسنّنة النّبوية الثابتة، حتى ولو كان طالب علم أو عالم ليس بمُجتهد مُطلَق، أو طلب مِن المُتكلِّم في دِّين الله الدليل على قوله وما قرّره مِن القرآن والسنّنة أو مِن أحدهما:

طُعِن فيه، وعِيب عليه، وقُدِح فيه، ورُمِي بما هو بَريء مِنه، ونُفِّر عنه بأبشع الأوصاف.

وقد تختلف هذه الطعون مِن بلد إلى بلد، ومِن عصر إلى عصر، ومِن شخص إلى شخص، وقد يتفق بعضها أو أكثرها.

ومِن الطعون المشهورة في زمننا هذا وما قبله، قولهم عن أهل ذلك:

«هذا يُنكِر المذاهب الأربعة، هذا وهابي، هذا ظاهري، هذا مِن الظاهرية الجُدد، هذا حنبلي مُتشدِّد، هذا نجدي، هذا شوكاني، هذا ألباني».

مع أنَّ هذا الذي قِيل فيه مِثل هذا الكلام وأشباهه:

— قد يكون مِمَّن درس فقه مذهب أهل بلده على علمائه، وشرح كتبًا في فقه المذهب، ويَنقل كثيرًا في دروسه وكتبه عن الأئمة الأربعة وأصحابهم وفقهاء مذهبهم.

_ ويُنكر مسلك الظاهرية، وشُذوذهم عن باقي الأُمَّة، ويرد على داود الظاهري أو ابن حزم الظاهري _ رحمهما الله _ في مسائل كثيرة.

بل وصل الأمر، والغلو الفاحش الشنيع، بأحمد الصاوي المالكي المُتأخِّر إلى أنْ قال في حاشيته على "تفسير الجلاين":

«لا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة، والحديث الصّحيح، والآية.

فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مُضِل، ورُبَّما أدَّاه ذلك للكفر.

لأنَّ الأخذ بطواهر الكتاب والسُّنة مِن أصول الكفر ».اهـ

وقد رَدَّ عليه باطله هذا:

العلامة الفقيه المُفسِر محد الأمين الشنقيطي المالكي ـ رحمه الله ـ في كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (٧/ ٥٦٥-٢٦٦)، فقال:

«أمّا قوله: "بأنّه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة، ولو كانت أقوالهم مُخالفة للكتاب والسُّنة، وأقوال الصحابة".

فهو قول باطل بالكتاب، والسُّنة، وإجماع الصحابة _ رضي الله عنهم _، وإجماع الأئمة الأربعة أنفسهم.

وأمَّا قوله: "إنَّ الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنة مِن أصول الكفر".

فهذا أيضًا مِن أشنع الباطل وأعظمه، وقائله مِن أعظم الناس انتهاكًا لِحُرمة كتاب الله وسئنّة رسوله ﷺ، سبحانك هذا بُهتان عظيم.

والتحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعامَّة علماء المسلمين:

أنّه لا يجوز العُدول عن ظاهر كتاب الله وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال مِن الأحوال بوجْه مِن الوجوه، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المُحتمَل المرجوح.

والقول: "بأنَّ العمل بظاهر الكتاب والسُّنة مِن أصول الكفر".

لا يَصدر البَتة عن عالم بكتاب الله وسُنَّة رسوله، وإنَّما يَصدر عمَّن لا علم له بالكتاب والسُّنة أصلًا.

لأنَّه: لِجهله بهما يَعتقد ظاهر هما كفرًا.

والواقع في نفس الأمر: أنَّ ظاهر هما بعيد مِمَّا ظنَّه أشد مِن بُعد الشمس مِن اللمس». اهـ

وقالَ الإمامُ الشافعيُّ _ رحمه الله _:

«أجمع المسلمون على أنَّ مَن استبانَتْ له سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أنْ يدَعها لِقول أحدٍ مِن الناس». اهـ

والخلاصة أنَّ أئمة الضَّلال مِن أهل البدع والأهواء قد أتوا بهذه الشُّبهة القبيحة:

_ لِيَحولوا بين الناس مِن أتباعهم وغير هم وبين مَن يدعونهم إلى اتباع الكتاب والسُّنة، وما كان عليه السَّلف الصالح مِن الفَهم والعمل.

- ولِيَحجِزوا الناس في دِين الله قولًا وفعلًا واعتقادًا وأخذًا وردًّا إلا عن طريقهم، وطريق مَن يُقلِّدون ويُعظِّمون، وطريق فِرقِهم وأحزابهم وجماعاتهم وطُرقهم الصوفية، وطريق مذاهب مُتأخِّريهم.

ومِن سُبلِهم في ذلك أيضًا:

أوَّلًا _ الزَّعم بأنَّ للنص الشرعي ظاهرًا وباطنًا، ولابُد أنْ يُرجع إليهم في معرفة المُراد مِنهما.

وستكون النتيجة:

أنَّه إذا سَمع أو قرأ ضعيف العلم والعقل هذا الكلام مِن هؤلاء القوم جهة النَّص الشرعي، فسيترُك العمل بالكتاب والسُّنة، ويَترُك طلب الدليل، وسيَهتَم بمعرفة ما يقولون ويُقرِّرون ويُقتون، ثم سَيعمل بِه.

وأصل هذا القول الباطل المُضِل مأخوذ عن الشِّيعة الرافضة الباطنية.

ثانيًا _ الزَّعم بأنَّ الأخذ بظاهر النص الصريح الواضح ظاهرية.

وعليه: فلا بُدَّ مِن الرجوع إلى هؤلاء القوم الضَّالين في فهم نصوص الشريعة، ومعرفة معانيها، والعمل بِها، وإلى المُجتهد المُطلَق الذي اختاروه وحدَّدوه.

مع أنَّ أكثر ما أُمِرَ بِه ونُهِيَ عنه في آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة واضح وبيِّن لغالِب الناس.

وقد تقدَّم قريبًا قول العلامة مجد الأمين الشنقيطي المالكي ـ رحمه الله ـ في كتابه "أضواء البيان" (٧/ ٢٦٦):

« والتحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ه، وعامّة علماء المسلمين:

أنَّه لا يجوز العُدول عن ظاهر كتاب الله وسئنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال مِن الأحوال بوجْه مِن الوجوه، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المُحتمَل المرجوح».اهـ

ثالثًا _ الزَّعم بأنَّ السُّنة النَّبوية ليست كالقرآن، فالسُّنة فيها الصَّحيح والضعيف، وأمَّا القرآن فمقطوع بصحَّته.

و هذا إضعاف للعمل بالأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله على.

ويرد عليهم:

بأنَّ السُّنة النَّبوية دِين ووحْي، والدِّين والوحْي محفوظ حتى يأتي أمر الله قبل قيام الساعة.

لِمَا صحَّ أَنَّ النبي ﷺ قال: ((لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِ، لَا يَضُرُّ هُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)).

وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ)).

رابعًا _ الزَّعم بأنَّ الأمور الشرعية تختلف درجاتها، فمنها ما هو لُباب، ومنها القشور، ثُمَّ هُم يُحدِّدون ما هو اللب وما هو القشر مِنها، وقد يختلفون في التمثيل له، ويُعارِض بعضهم بعضًا في أمثلنه.

وهذا تفريق عقلي باطني، وليس في الشريعة، بل الشريعة ترده وتُبطله، ونصوص القرآن والسُّنة في نقضه كثيرة.

ومُرادهم مِن ذلك: إضعاف العمل بما دلَّت عليه نصوص القرآن والأحاديث النَّبوية، والرجوع إليهم في الفِعل والترْك.

حتى تُركت كثير مِن الواجبات والسُّنن، وفُعِلت مُحرَّمات، وبعضها كبائر، بسبب هذا الرأي العقلي الفاسد.

بل قد رأينا عديدًا مِن أهل هذا الزَّعم الباطل، وقد تلبَّسوا بمُحرَّمات عدَّة مُتفَق على تحريمها بين العلماء، بل وبكبائر نُصَّ عليها في القرآن وصحيح السُّنة النَّبوية.

وقرأنا في تراجم بعضهم ترثكه لفرائض، وفعله لكبائر.

(٩) هذا الكلام فيه ثلاثة أمور:

الأمر الأوَّل:

بيان كثرة الأدلة على بطلان هذه الشُبهة، وفي نقضها ومُخالفتها للشريعة.

ويدل عليه قول المُصنِّف _ رحمه الله _:

[مِن وجوه شتَّى بلغت إلى حدِّ الضَّروريات العامَّة.]

وقوله أيضًا:

[كم بيّن الله سبحانه شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمْرًا.]

الأمر الثاني:

بيان تنوع الأدلة في نقض هذه الشُّبهة، وتعدُّد وجوهها.

ويدل عليه قول المُصنِّف _ رحمه الله _:

[شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا، في رَدِّ هذه الشُّبهة الملعونة مِن وجوه شتَّى.

أمَّا شرْعًا:

فآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ المُستفيضة المُتضافرة في الأمر بلزوم القرآن والسنّنة، والاستمساك بما جاء فيهما، وأنّه سبيل النّجاة، والطريق الوحيد المُوصِل إلى الله ورضاه وجنّته.

وأمَّا قدرًا:

١ - فواقع الناس في عدَّة عصور، وعدَّة بلدان، لمَّا استقاموا على العمل
 بكتاب الله وسننَّة نبيّه ﷺ، واستمسكوا بهما.

حيث

حصل لهم التمكين في الأرض، وعزّوا وسادوا، وقوي الأمن عندهم، وذهب الخوف عنهم، وجاءتهم الأرزاق، وذهب عنهم الجوع، وتوحّدوا بعد أنْ كانوا مُتفرِّقين، وتراحموا بعد أنْ كانوا مُتناحِرين.

٢ ـ وواقعهم لَمَا ضَعُف عملهم بالكتاب والسُّنة، وضعف استمساكهم
 بهما، وكثرة المُخالفات للشريعة فيهم ومِنهم.

حيث جاءهم الذُّل والصَّغار، وتفرَّقوا واختلفوا، وتعادوا وتباغضوا، بل وتقاتلوا، وتسلَّط عليهم الأعداء، وكثرة الفتن والشُّرور في بلدانهم، وحلَّ بِهم الخوف والجوع.

١ - كما قال الله - جلَّ وعلا -: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

٢ ـ وكما ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال: ((وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي)).

الأمر الثالث:

كثرة من يجهلون هذه الشُّبهة، ومُخالفتها للشريعة، وكثرة وتنوع أدلة بُطلانها ونقضها.

ومِن أسباب ذلك:

أوَّلًا _ كثرة أهل البدع والأهواء، والتمكين لهم بالمناصب، وإمداد دعوتهم بالأموال، والأماكن، والفضائيات، وطِباعة الكتب، والجامعات، والمعاهد، والمساجد، والمنابر.

ثانيًا - ضعف العلم الشرعي، وزيادة الجهل بأحكام الشريعة، وموت العلماء الرَّاسخين في العلم الأثبات السائرين على سبيل السَّلف الصالح.

١ - وقد صحَّ عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: ((مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ،
 وَيَشْبُتَ الْجَهْلُ)).

٢ ـ وصحَّ أنَّه ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ الْعِلْمَ الْعِلْمَ الْعِلْمَ الْعِلْمَ الْعُلْمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُوا وَأَضَلُوا)).

ثالثًا _ قِلَّة الدُّعاة إلى الحق وسبيل السَّالف الصالح، وضعفهم في الدعوة إلى التوحيد والسُّنة، لِقلة العلم فيهم، وترْك مراجعته ومذاكرته، ونُشوب الفتن بينهم، واشتغالهم بتتبُّع بعض.

(١٠) هذه الآيات مِن أوَّل سورة "يس"، وقد تضمَّنت عدَّة أمور مع اتِّباع الحق، والعمل به، والدُّعوة إليه:

الأمر الأوَّل:

أنَّ أكثر الناس بعد دعوتهم إلى الحق وتعريفهم بِه لا يؤمنون بِه، ولا يقبلونه مِمَّن دعاهم إليه.

ويَدُل عليه قول الله تعالى في هذه الآيات: { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }.

فَلْيَحذَر العبد أنْ يكون في عِداد هذه الكثرة، ومِنهم، ومعهم.

الأمر الثاني:

تحذير العبد أنْ يكون مِن العُتَاة القُسَاة الغِلاظ الجُفاة الذين لا يُذعِنون للحق، ولا يَخفِضون رؤوسهم له، ولا يُبصِرونه، إذا ذُكِّروا بِه، ودُعوا إليه، وسمعوه وقرأوه.

ويَدُل عليه قول الله تعالى في هذه الآيات: { إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَاً فَي عَنَاقِهِمْ أَغْلَاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ }.

الأمر الثالث:

ترهيب العبد مِن عدم الإقبال على الحق إذا دُعي إليه، وبُيِّن له، وتحذيره أنَّ يكون مِمَّن لا يكترِثون للحق، ولا يَهتمون بِه، ولا يُبالون أدْعُوا إليه أمْ لم يُدعَوا، وبُيِّن لهم أمْ لم يُبيَّن.

بل يجب أنْ يَبحث العبد عن الحق، ويُقبِل عليه، ويَنقاد له، وتتغيّر حاله بعد تبيينِه له، ومعرفته به.

ويَدُل عليه قول الله تعالى في هذه الآيات: { وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }.

الأمر الرابع:

ترغيب العبد أنْ يكون مِن أهل خشية الله الذين يُقبلون على الحق إذا بُيِّن لهم، ودُعوا إليه، ولا يَستكبرون عنه.

ويَدُل عليه قول الله تعالى في هذه الآيات: { إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِيرٌهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }.

الأمر الخامس:

ترهيب رادِّ الحق الذي لم يَنقد له بعد تعريفه بِه، وتبيينِه له، بأنَّ فعله السَّيء هذا مكتوب في كتاب بيِّن واضح، وسنيُجازى عليه بعد البَعث مِن الموت.

وترغيب المُنقاد للحق، العامل بِه بعد إذ جاءه، بأنَّ عمله الصالح هذا مكتوب في كتاب بيِّن واضح، وسنيُجازى عليه بعد البَعث مِن الموت.

ويَدُل عليه قول الله تعالى في هذه الآيات: { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَنِيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ }.

الفهارس

- ١ _ شرح مقدمة المُصنِّف [٣ _ ١٣]
 - ٢ _ شرح الأصل الأوَّل [١٣ _ ٣٧]
- ٣ _ شرح الأصل الثاني [٣٧ _ ٢٥]
- ٤ _ شرح الأصل الثالث [٥٢] ٧٦
- ٥ _ شرح الأصل الرابع [٧٦ _ ٩٧]
- ٦ _ شرح الأصل الخامس [٩٨ _ ١٢٦]
- ٧ _ شرح الأصل السادس [١٢٦ _ ١٥٥]